الباب الثالث

الغفران عند النصارى، وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول

حقيقة طلب الغفران، ونشأته، وتطوره عند النصارى.

الفصل الثاني

دوافع طلب الغفران عند النصارى.

الفصل الثالث

وسائل طلب الغفران ولوازمه، وآثاره عند النصارى.

الفصل الرابع

موقف فرق وطوائف النصارى من طلب الغفران.

الفصل الخامس

المقارنة بين معتقد المسلمين واليهود والنصارى في الغفران.

الفصل الأول

حقيقة طلب الغفران، ونشأته، وتطوره عند النصارى

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الغفران، والألفاظ المرادفة له في النصرانية.

المبحث الثاني: نشأة طلب الغفران.

المبحث الثالث: تطور طلب الغفران.

المبحث الرابع: أنواع طلب الغفران.

المبحث الخامس: عوائق طلب الغفران.

المبحث السادس: الغفران، وصلته بأحبار النصارى،ورهبانهم.

المبحث الأول

تعريف الغفران، والألفاظ المرادفة له في النصرانية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الغفران في النصرانية.

المطلب الثاني: الألفاظ المرادفة له في النصرانية.

المبحث الأول

تعريف الغفران، والألفاظ المرادفة له في النصرانية

المطلب الأول: تعريف الغفران في النصرانية:

وردت تعاريف عدة للغفران في الديانة النصرانية، من هذه التعاريف ما يأتي:

١ – هو غفران الخطيئة، والخلاص من وبقتها ونتائجها، وتطهير النفس، وأفراح العالم الأزلي[١]. يقول العهد الجديد: «ولما بلغ الكمال صار مصدر خلاص أبدي لجميع الذين يطيعونه »[٢].

٢ – عطية الله للمؤمن طالب الغفران بأيمان ونية صادقة[٣].

٣ – الصفح الكامل عن الخطايا، وعدم ذكرها[٤]. دل على ذلك: «لا تذكر خطايا حباي، ولا معاصي»[٥].

٤ – منح المؤمنين الحقيقيين الخلاص من وصمة الخطايا، وصيرورتهم أبرارًا أمام الله؛ كأشخاص لم يرتكبوا خطيئة على الإطلاق[٦].

دل على ذلك: «أسلم من أجل خطايانا، وأقيم لأجل تبريرنا»[٧].

٥ – محو وإزالة كل أثر للخطيئة عن المؤمنين الحقيقيين[٨].

---

(١) قاموس الكتاب المقدس (٣٤٥/١).

(٢) العهد الجديد. اتحاد جمعيات الكتاب المقدس ١٩٧٨م، بيروت، لبنان. رسالة العبرانيين (٥: ٩) ص(٥٥٣).

(٣) قاموس الكتاب المقدس (٦٥٩/٢).

(٤) كيف تنتفع بكفارة المسيح. عوض سمعان (ط١) ١٩٨٦م ص(٤٢).

(٥) العهد القديم، سفر المزامير (٢٥: ٧) ص(٨٤٨).

(٦) كيف تنتفع بكفارة المسيح ص(٤٣).

(٧) العهد الجديد، رسالة رومية (٤: ٢٥) ص(٣٩٠).

(٨) كيف تنتفع بكفارة المسيح (٤٤).

دل على ذلك: «طهر البشر من خطاياهم» [١]، «اغسلنا من خطايانا» [٢].

٧ – شفاء الإنسان الخاطئ من مرض الموت، ونجاسة الموت[٣].

والشاهد على ذلك: «فالصلاة مع الإيمان تخلص المريض، والرب يعافيه، وإن ارتكب خطئه غفر له» [٤].

٨ – عفو الله عن الإنسان، وإخراجه طليقًا من قبضة العدالة الإلهية[٥].

٩ – الخلاص من سلطان إبليس، ومن الخطيئة[٦].

دليل ذلك ما جاء في إنجيل متى: «يخلص شعبه من خطاياهم» [٧].

١٠ – هبة إلهية بفضيلة التوبة، وتوسطها لإيقاف مجرى شريعة القضاء[٨].

الشاهد لذلك: «مغفورة لك خطاياك»[٩].

١١ – ستر الخطايا، وتغطية النفس المذنبة حتى لا يطالب المذنب بالقصاص[١٠].

١٢ – فتح المصالحة بين الله والإنسان بدون إهانة شريعة الله المقدسة[١١].

---

(١) العهد الجديد. رسالة العبرانيين (١: ٣) ص(٥٤٨).

(٢) العهد الجديد. رسالة رؤيا (١: ٥) ص(٦١٩).

(٣) العدالة الإلهية حياة لا موت، مغفرة لا عقوبة (١٣٥).

(٤) العهد الجديد. رسالة القديس يعقوب (٥: ١٥) ص(٥٨٧).

(٥) العدالة الإلهية حياة لا موت (١٣٥).

(٦) عقائد الخلاص والفداء والكفارة في جميع الأديان (١٨٤).

(٧) العهد الجديد، إنجيل متى (١: ٢١) ص(٣).

(٨) التوبة عظات القديس يوحنا ذهبي الفم. ترجمة نشأت مرجان. دار النشر الأسقفية (ط٢) ٢٠٠٧م، مصر، ص(١٢٢).

(٩) العهد الجديد، إنجيل مرقس (٢: ٥) ص(٩٠).

(١٠) الخطيئة والكفارة في الإسلام والمسيحية. عبد الفادي ص(٣٣).

(١١) الخطيئة والكفارة في الإسلام والمسيحية. عبد الفادي ص(٣٣).

١٣ – مصالحة الخاطئ التائب لله، وحصوله على الحل منه، أي الرحمة[(١)].

دليل ذلك: «وما تحلّونه في الأرض يكون محلولاً في السماء»[(٢)].

١٤ – التخلص من دنس الخطيئة وسلطانها[(٣)].

دل على ذلك: «إن اعترافنا بخطايانا، فهو أمين عادل حتى يغفر لنا خطايانا، ويطهرنا من كل إثم»[(٤)].

١٥ – الخلاص من الخطيئة وسلطانها وقوتها، ومن الضعف الروحي، ومن العالم، ومن عبودية الشيطان، وجهنم وعذابها[(٥)].

١٦ – التماس رقيق لنيل الرحمة، وإلغاء العقوبة، وتحمل كلفة المصالحة[(٦)].

١٧ – رفع الخطايا، والتمتع بالحياة تحت حكم الله مع باقي شعبه الذين قد خلصوا[(٧)].

١٨ – مسامحة الله البشر على ما اقترفوه من تعديات[(٨)].

١٩ – تحرير الإنسان من دين الخطية، ومرضها، وسلطانها، واستعبادها نفسًا وروحًا

---

(١) انظر: موسوعة طقوس. الكنيسة القبطية. د. ميخائيل مكسي. دار نوبار، ٢٠٠٧م ص(٢/٦٠).

(٢) العهد الجديد، إنجيل متى (١٨: ١٨) ص(٥٠).

(٣) معرفة الخلاص. القمص زكريا بطرس ص(٢).

(٤) العهد الجديد. رسالة يوحنا الأولى (١: ٩) ص(٥٩٩).

(٥) عظمة المخلص وروعة الخلاص، حليم حسب الله. دار الأخوة. مصر (ط١) ٢٠٠٨م ص(١١)، وانظر: حية التوبة والنقاوة (٨ – ٩).

(٦) المغفرة بحسب فكر الله. دان هاميلتون. دار النشر الاسقفية ص(٢٤).

(٧) انظر: الخلاص. كريستوفر ج. هـ. رايت. ترجمة وليم هارفي. دار الثقافة. مصر (ط١) ٢٠٠٧م، ص(٣٥).

(٨) انظر: الكفارة نظرية وتطبيق: د. فنيس نقولا بولس، دار محروس، مصر، ٢٠١٠م، ص(٢٦).

وجسدًا، والأخذ بيده حتى يقف أمام الله في كمال البر والقداسة والمجد والعزة والبهاء إلى أبد الأبدية[١].

٢٠ – يذكر الدكتور أحمد عجيبة تعريفًا للغفران بمعنى «الخلاص»، وهو معنى من المعاني الكثيرة التي وضعها النصارى للغفران، بل هو المعنى الرئيس، فيقول في تعريفه: هو الخلاص من خطيئة آدم التي ورثها لأبنائه، والجنس البشري من بعده، والخلاص من الخطايا الأخرى التي يفعلها الإنسان في حياته، وهو التحرر من الخطيئة وآثارها[٢].

أخيرًا فإن من خلال ما تم استعراضه من تعاريف للغفران، نخلص إلى أن الغفران لدى النصارى يُراد به أمران[٣]:

الأول: دفع خطيئة آدم عليه السلام، وهذا حاصل لدى النصارى بصلب عيسى – عليه السلام –.

الثاني: رفع وستر ومحو خطايا المؤمنين من النصارى أفراداً، أو شعبًا، وإبعادها عنهم كبعد الشرق عن الغرب من خلال ممارسات وإجراءات تمارس عبر طقوس دينية يجريها النصارى للحصول على الغفران.

---

(١) عقيدة الخلاص في الديانة النصرانية. نورا توفيق العبرة. رسالة ماجستير. كلية أصول الدين جامعة آل البيت. الأردن، ص(٧٥)، وللاستزادة. انظر: تأثير المسيحية بالأديان الوضعية (٥٣٠).

(٢) انظر: تأثير المسيحية في الأديان الوضعية (٥٣٠)، الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه ص(٤٩).

(٣) للاستزادة انظر: الكفارة نظرية وتطبيق (٢٦)، الذنب والمغفرة في ضوء القرآن والعهد الجديد (١١)، تأثر المسيحية بالأديان الوضعية (٥٣٠)، موسوعة طقوس الكنيسة (٢/٦٠)، بدعة الخلاص في لحظة. البابا شنودة الثالث. مطبعة الأنبارويس. العباسية، القاهرة (ط٦) ٢٠٠٩م، (١٤ – ٣٩).

المطلب الثاني: الألفاظ المرادفة للغفران في النصرانية

ورد في المطلب السابق تعاريف عدة للغفران لدى النصارى، اختلفت في الصياغة واللفظ، في حين اجتمعت في دلالة المضمون والغاية، فالمضمون طلب العبد المذنب من الرب محو وإزالة ما صدر عنه من خطايا أو تقصير.

والغاية نيل البركات الدنيوية والأخروية المترتبة على نيل الغفران، وهذا الاختلاف في الصياغة واللفظ جاء بألفاظ مرادفة للفظ الغفران، تؤدي في الوقت نفسه لمضمون الغفران، وتفضي للغاية والمقصود من طلب الغفران.

من هذه الألفاظ المرادفة[1] ما يأتي:

١ – «غفر» ورد طلب الغفران بلفظ «غفر» بعدة صيغ، فتارة بصيغة الرجاء والطلب، وتارة الفعل، مصدر... ومن شواهد ذلك:

- «واغفر لنا ذنوبنا» [2].
- «فإن كنتم تغفرون للناس زلاتهم، يغفر لكم أبوكم السماوي» [3].
- «من يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله وحده» [4].
- «ليمنح شعب إسرائيل التوبة، وغفران الخطايا» [5].

---

(١) انظر: حياة التوبة والنقاوة (٨ – ٩)، عظمة المخلص وروعة الخلاص (٨٤ – ٨٧)، الخلاص الحقيقي. كولن أوكهارت (٦١ – ٧١)، الخطيئة والكفارة (٣٣ – ٣٤)، العدالة الإلهية (١٥٧)، كيف تنتفع بكفاية المسيح (٤٢)، بدعة الخلاص في لحظة (٦٢ – ٧٦)، الخلاص المسيحي (٥١ – ٥٢).

(٢) العهد الجديد. إنجيل متى (٦: ١٢) ص(١٤).

(٣) العهد الجديد. إنجيل متى (٦: ١٤) ص(١٥).

(٤) العهد الجديد. إنجيل مرقس ٢٠: ٧) ص(٩٠).

(٥) العهد الجديد. أعمال الرسل (٥: ٣١) ص(٣١٤).

- «يشهد جميع الأنبياء بأن كل من آمن به ينال باسمه غفران الخطايا»[1].

- «هنيئًا للذين غفرت ذنوبهم»[2].

- «فالصلاة مع الإيمان تخلص المريض، والرب يعافيه وإن كان ارتكب خطيئة غفرها له»[3].

- «إذا اعترفنا بخطايانا، فهو أمين عادل يغفر لنا خطايانا»[4].

٢ - «الخلاص»:

ورد طلب الغفران بلفظ الخلاص بصيغ عدة، ومن الشواهد على ذلك:

- «من أمن واعتمد خلص، ومن لم يؤمن يدن»[5].

- «لأننا بالرجاء خلصنا»[6].

- «الذي يصبر إلى المنتهى يخلص»[7].

- «الإله الحكيم الوحيد مخلصنا، له المجد والعظمة والقدرة والسلطان»[8].

- «وسينقذني الرب من كل عمل ردي، ويخلصني ملكوته السماوي»[9].

---

(١) العهد الجديد. أعمال الرسل (١٠: ٤٣) ص(٣٣٠).

(٢) العهد الجديد. رسالة رومية (٤: ٧) ص(٣٨٩).

(٣) العهد الجديد. رسالة يعقوب ٠٥: ١٥) ص(٥٨٠).

(٤) العهد الجديد. رسالة يوحنا (١: ٩) ص(٥٩٩).

(٥) العهد الجديد. إنجيل مرقص (١٦: ١٦) ص(١٣٨).

(٦) العهد الجديد. رسالة رومية (٨: ٢٤) ص(٣٩٦).

(٧) العهد الجديد. إنجيل متى (٢٤: ١٣) ص(٦٧).

(٨) العهد الجديد. رسالة يهوذا (٢٥: ١٠) ص(٦١٧).

(٩) العهد الجديد. رسالة تيموثاوس الثانية (٤: ١٨) ص(٥٣٨).

٣ – «التوبة»:

جاء طلب الغفران بلفظ التوبة، وشواهد ذلك:

- «إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون» [١].
- «توبوا وارجعوا لتمحى خطاياكم» [٢].
- «توبوا، وليعتمد كل منكم... لمغفرة الخطايا» [٣].
- «قد أكمل الزمان، واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل» [٤].
- «وإن تاب فاغفر له» [٥].

٤ – «المحو»:

التصريح بطلب الغفران أو نيل الغفران بلفظ «المحو»، وشواهد ذلك:

- «وامح كل آثامي» [٦].
- «حسب كثرة رافتك امح معاصي» [٧].
- «فتوبوا وارجعوا لتمحى خطاياكم» [٨].

---

(١) العهد الجديد. إنجيل لوقا (١٣: ٣) ص(١٩١).

(٢) العهد الجديد. رسالة أعمال (٣: ١٩) ص(٣٠٨).

(٣) العهد الجديد. رسالة أعمال (٢: ٣٨) ص(٣٠٦).

(٤) العهد الجديد. إنجيل مرقص ٠١: ١٥) ص(٨٨).

(٥) العهد الجديد. إنجيل لوقا (١٧: ٤) ص(٢٠٢).

(٦) العهد القديم. سفر المزامير (٥١: ٩) ص(٨٦٨).

(٧) العهد القديم. سفر المزامير (٥١: ١) ص(٨٦٧).

(٨) العهد الجديد. رسالة أعمال (٣: ١٩) ص(٣٠٨).

٥ - «المسامحة»:

جاء التعبير بمنح الغفران بلفظ المسامحة، وشواهد على ذلك:

- «مسامحًا لكم بجميع الخطايا» [١].

- «ليكن بعضكم لبعض ملاطفًا، رحيمًا، مسامحًا، كما سامحكم الله» [٢].

٦ - «النسيان»:

التعبير عن غفران الرب للخطايا بمعنى النسيان، وشاهد ذلك:

- «ولن أذكر خطاياهم وآثامهم من بعد» [٣].

- «أنا أنا هو الماحي ذنوبك لأجل نفسي، وخطاياك لا أذكرها» [٤].

٧ - «الطرح والإبعاد»:

مجيء الغفران للخطايا بلفظ طرح الرب للخطايا، وراء ظهره، أو في البحر، وإبعادها كبعد المشرق عن المغرب. وشواهد ذلك:

- «طرحت وراء ظهرك كل خطاياي» [٥].

- «يعود يرحمنا، يدوس آثامنا، وتطرح في أعماق البحر جميع خطاياهم» [٦].

- «لم يضع معنا حسب خطايانا، ولم يجازنا حسب آثامنا؛ لأنه مثل ارتفاع السموات

---

(١) العهد الجديد. رسالة الكنيسة كولوس (٢: ١٣) ص(٥٠٥).

(٢) العهد الجديد. رسالة الكنيسة أفسس (٤: ٣٢) ص(٤٨٧).

(٣) العهد الجديد. رسالة إلى العبرانيين (١٠: ١٧) ص(٥٦٢).

(٤) العهد القديم. سفر أشعيا (٤٣: ٢٥) ص(١٠٤٥).

(٥) العهد القديم. سفر أشعيا (٣٨: ١٧) ص(١٠٣٨).

(٦) العهد القديم. سفر ميخا (٧: ١٩) ص(١٣٣٥).

فوق الأرض قويت رحمته على خائفيه، كبعد المشرق من المغرب أبعد عنا معاصينا»[(١)].

٨ – «الصفح»:

إعلان الغفران، وطلبه جاء بلفظ «الصفح»، وشواهد ذلك:

- «اصفح عن خطيتي»[(٢)].
- «واصفح عن ذنب أمتك»[(٣)].
- «من هو إلهٌ مثلك غافر الإثم، وصافح عن الذنب»[(٤)].
- «فاصفح عن ذنوبهم، ولن أذكر خطاياهم وآثامهم من بعد»[(٥)].

٩ – «المصالحة»:

منح الغفران بلفظ المصالحة. وشواهد ذلك:

- «فيما مضى كنتم غرباء عن الله، وأعداء له بأفكاركم وأعمالكم السيئة، وأما الآن فصالحكم»[(٦)].
- «زال القديم وها هو الجديد، وهذا كله من الله الذي صالحنا»[(٧)].

---

(١) العهد القديم. سفر المزامير (١٠٣: ١٠ – ١٢) ص(٩٠٤).

(٢) العهد القديم. سفر الخروج (١٠: ١٧) ص(١٠٣).

(٣) العهد القديم. سفر صموائيل الأول (٢٥: ٢٨) ص(٤٧١).

(٤) العهد القديم. سفر ميخا (٧: ١٨) ص(١٣٣٥).

(٥) العهد الجديد. رسالة العبرنيين (٨: ١٢) ص(٥٨٨).

(٦) العهد الجديد. رسالة الكنيسة كولوسى (١: ٢١ – ٢٢) ص(٥٠٣).

(٧) العهد الجديد. رسالة الثانية الكنيسة كورنثوس (٥: ١٧ – ١٨) ص(٤٥٤).

- «إن الله صالح العالم في المسيح، وما حاسبهم على ذلاتهم، وعهد إلينا أن نعلن هذه المصالحة»[1].

- «نفتخر بالله، والفضل لربنا يسوع المسيح الذي به نلنا الآن هذه المصالحة»[2].

١٠ - «التبرير»:

جاء الغفران بلفظ «التبرير» أي: أن الرب طهرك من خطاياك، فتبررت بذلك، وذلك بأن أصبحت بارًا مقبولاً كليًا في نظر الله[3].

وشواهد على ذلك:

- «والله فعل ذلك ليظهر بره، فإذا كان تغاضى بصبره عن الخطايا الماضية، فهو في الزمن الحاضر يظهر بره ليكون بارًا، ويبرد من يؤمن..»[4].

- «الله هو الذي يبرر»[5].

- «أن الله سيبرر غير اليهود بالإيمان»[6].

- «حتى نتبرر بنعمة المسيح، ونرث الحياة الأبدية التي نرجوها»[7].

- «فهو يبررهم بالإيمان»[8].

---

(١) العهد الجديد. رسالة الثانية الكنيسة كورنثوس (٥: ١٩) ص(٤٥٥).

(٢) العهد الجديد. رسالة كنيسة رومية (٥: ١١) ص(٣٩١).

(٣) انظر: الخلاص الحقيقي. كولن اوكهارت ص(٦١).

(٤) العهد الجديد. رسالة كنيسة رومية (٣: ٢٥ - ٢٦) ص(٣٨٨).

(٥) العهد الجديد. رسالة كنيسة رومية (٨: ٣٣) ص(٣٩٨).

(٦) العهد الجديد. رسالة كنائس غلاطية (٣: ٨) ص(٤٧٢).

(٧) العهد الجديد. رسالة إلى تيطس (٣: ٧) ص(٥٤٢).

(٨) العهد الجديد. رسالة كنيسة رومية (٣: ٢٢) ص(٣٨٨).

- «فنحن نعتقد أن الإنسان يتبرر بالإيمان»[1].

١١ – «التطهير»:

طلب الغفران بلفظ التطهير والغسل، وشواهد ذلك:

- «اغسلني كثيرًا من إثمي، ومن خطيتي طهرني»[2].
- «وأطهرهم من كل إثمهم الذي أخطأوا به إلي»[3].
- «طهرتم نفوسكم بطاعة الله»[4].
- «فلنطهر أنفسنا من كل ما يدنّس الجسد والروح، ساعين إلى القداسة الكاملة في مخافة الله»[5].

١٢ – «التجديد»:

التجديد يراد به: غفران الخطيئة التي ولد بها الإنسان، والخطايا التي فعلها الإنسان في ماضي حياته، لينال بروحه وجسده ولادة ثانية بحياة جديدة[6].

ومن الشواهد على ذلك:

- «فاتركوا سيرتكم الأولى بترك الإنسان القديم الذي أفسدته الشهوات الخادعة، وتجددوا روحًا وعقلاً، والبسوا الإنسان الجديد الذي خلقه الله على صورته في البر والقداسة

(١) العهد الجديد. رسالة كنيسة رومية (٣: ٢٨) ص(٣٨٨).
(٢) العهد القديم. سفر المزامير (٥١: ٢) ص(٨٦٧).
(٣) العهد القديم. سفر أرميا (٣٣: ٨) ص(١١٢٩).
(٤) العهد الجديد. رسالة بطرس الأولى (١: ٢٢) ص(٥٨٤).
(٥) العهد الجديد. إرسالة الأولى لكنيسة كورنثوس (٧: ١) ص(٤٥٦).
(٦) انظر: الخلاص المسيحي (٥٨)، بدعة الخلاص (٦٢ – ٦٣).

والحق» [1].

- «الذي يغفر جميع ذنوبك، الذي يشفي كل أمراضك، الذي يفدى من الحفرة حياتك، الذي يكللك بالرحمة والرأفة، الذي يشبع بالخير عمرك، فيتجدد مثل النسر شبابك» [2].

١٣ - «التقديس»:

يطلق على نيل الغفران تقديس، يقول القس كولن اركهارت: يساعد روح القدس المؤمن على السلوك بطريقة مرضية للرب؛ ليمكنه من إكمال خطة الله، وغرضه في حياته وعلى تغيير شخصيته، لكي يصبح المؤمن أكثر وأكثر، مثل يسوع، فقد أراد الله للمؤمن التبرير والتقديس، ليعيش مبررًا مقدسًا [3].

وشاهد ذلك:

- «الله اختاركم من البدء للخلاص بتقديس الروح، وتصديق الحق» [4].

- «ولا السارقون، ولا الجشعون، ولا السكيرون، ولا الشتامون، ولا السالبون يرثون ملكوت الله، كان بعضكم على هذه الحال، ولكنكم اغتسلتم، بل تقدستم، بل تبررتم باسم ربنا وبروح إلهنا) [5].

- «لا تطفئوا حرارة الروح، لا تستهينوا بالنبوات، بل امتحنوا كل شيء، وتمسكوا بالحسن، وتجنبوا كل شر، وإله السلام نفسه يقدسكم في كل شيء، ويحفظكم منزهين

---

(١) العهد الجديد. رسالة لكنيسة أفسس (٤: ٢٢ - ٢٤) ص(٤٨٦).

(٢) العهد القديم. سفر المزامير (١٠٣: ٣ - ٥) ص(٩٠٤).

(٣) انظر: الخلاص الحقيقي ص(٦٤)، الخلاص المسيحي (٥١)، بدعة الخلاص (٦٢_ ٦٣).

(٤) العهد الجديد. الرسالة الثانية لكنيسة تسالونيكي (٢: ١٣) ص(٥١٩).

(٥) العهد الجديد. الرسالة لكنيسة كورنثوس (٦: ١٠ - ١١) ص(٤٢٣).

عن اللوم، سالمين روحًا ونفسًا وجسدًا»[1].

١٤ - «التمجيد»:

جاء الدعوة إلى نيل الغفران لينال الحياة ابدية مجيدة، وممجدًا فيها[2].

ومن شواهد ذلك:

- «الذين بروهم فهؤلاء مجدهم أيضًا»[3].
- و«هم بني إسرائيل جعلهم الله أبناءه، ولهم المجد»[4].
- «أنتم الذين بالإيمان تحرسكم قدرة الله الخلاص سينكشف في اليوم الآخر، به تبتهجون، مع أنكم لابد أن تحزنوا حينًا بما يصيبكم الآن من أنواع المحن التي تمتحن إيمانكم، كما تمتحن النار الذهب، وهو أثمن من الذهب الفاني، فيكون أهلاً للمديح والمجد والإكرام)[5].

---

(١) العهد الجديد. الرسالة الأولى لكنيسة تسالوينكي (٥: ١٩ - ٢٣) ص(٥١٦).

(٢) انظر: الخلاص الحقيقي (٦٨ - ٦٩)، الخلاص المسيحي (٥٢)، بدعة الخلاص (٦٢ - ٦٣).

(٣) العهد الجديد. رسالة لكنيسة رومية (٨: ٣٠) ص(٣٩٨).

(٤) العهد الجديد. رسالة بطرس الأولى (١: ٥ - ٧) ص(٥٨٣).

(٥) العهد الجديد. إنجيل متى (٦: ١٤) ص(١٥).

المبحث الثاني

نشـأة طلب الغفران [1].

إن البحث في قضية نشأة طلب الغفران في الديانة النصرانية مبنيٌ على قضية الخطيئة الأولى الأبدية [2] خطيئة آدم – عليه السلام –، إذ إن هذه الخطيئة في نظرهم خطيئة أبدية، التصقت بأبناء آدم من بعده، توارثوها عن أبيهم جيلاً بعد جيل.

فأي خطيئة يقع بها بنو الإنسان من بعده عبر الأجيال، إنما هو بسبب الخطيئة الأولى التي جذرت في نفوس البشرية حب العصيان.

والباحث أمام قضية الخطيئة الأولى في الديانة النصرانية يقف أمام قضية في قمة التعقيد والتشابك، إذ إن للنصرانية فلسفة خاصة، وتصورًا معينًا لهذه القضية، يختلف عن جميع التصورات التي نزلت بها الشرائع السماوية من لدن آدم – عليه السلام –، فقد أصبح للنصرانية في هذه القضية نظام فريد يعز على الأفهام تصوره، ويصطدم فيه العقل بكثير من العقبات.

فعند النظر لشرائع الديانة النصرانية، نجد أنها شرائع مستمدة من العهد القديم، والعهد الجديد، وعند النظر لشرائع العهد القديم، نجد أنه عامرٌ بشرائع طلب الغفران، والتي قام بها النصارى سعيًا منهم لنيل الغفران عن الخطيئة الأولى، وعن سائر خطاياهم، إلا أن هذه الشرائع في نظر الديانة النصرانية لم تحقق مرادهم بنيل الغفران عن خطيئة أبيهم آدم عليه السلام التي توارثوها عنه، والتي على إثرها لم يفتح لهم باب المصالحة بينهم وبين الله حتى يسعوا لينالوا الغفران عن خطاياهم الأخرى، ففي نظرهم أن تلك الشرائع الواردة في العهد القديم، لم تبلغ المستوى المطلوب

---

(١) إن طلب الغفران شريعة ومعتقد موجود من لدن المسيح عيسى عليه السلام ولكن حديثنا هنا سيكون عن معتقد وشريعة الغفران كما هي الآن في الديانة النصرانية بعد أن طالتها يد التحريف والتغيير.

(٢) وهذا زعم باطل دل القرآن الكريم والسنة النبوية بالنصوص الصريحة على بطلان هذا الزعم الذي يدعيه النصارى فيما يتعلق بخطيئة آدم لآن النصوص الشرعية جميعها دلت ونصت على أن الله قد تاب الله عليه.

من الطهر والقداسة التي من خلالها ستكون كافية، لتُتم مطالب العدل والرحمة للبشر.

لهذا لم ينشأ طلب الغفران حقيقةً كما هو مراد ومطلوب في الديانة النصرانية، إلا حين جاء الحل على يد الخالق – سبحانه وتعالى –، وذلك حين أقام للبشرية حلاً جذريًا ينتزع من خلاله الخطيئة منهم؛ حيث أرسل ابنه عيسى – عليه السلام – بطبيعته اللاهوتية في جسد ناسوتي، لكي يستلمه اليهود فيصلب، ويقتل شر قتلة تكفيرًا وفداءً عن خطيئة – آدم عليه السلام –، وليفتح بذلك باب المصالحة مع الرب.

من تلك اللحظة [1] نشأ طلب الغفران، وبدأ حقيقةً في نظر الديانة النصرانية حين قدّم عيسى – عليه السلام – نفسه فداءً وتكفيرًا عن تلك الخطيئة الأولى الأبدية التي ورثتها البشرية عن أبيهم آدم، والتي لا يد لهم فيها.

ولتكون هذه التضحية من عيسى – عليه السلام – عقيدةً أساسية من أهم عقائد الديانة النصرانية، بل وركنًا أساسيًا من أركان معتقد وشريعة الغفران لديهم، تُعرف بعقيدة الخلاص، عقيدة الفداء والكفارة، وتعتبر هذه العقيدة هي العقيدة الرئيسة التي بشر بها بولس، فكان كل تفكيره يدور حول هذه العقيدة، حتى أوصلها إلى الدرجة التي أخضع لها كل أعمال وحياة النصارى؛ فعلى كل من يسعى من النصارى طالبًا الغفران عن خطيئة، أو تقصير في أداء عبادات لازمة، عليه الاعتقاد والإيمان ابتداء بعقيدة الصلب والفداء مع ما يقوم به من طقوس، وما يقدمه من قربات، ووسائل ليطهر نفسه من دنس الخطايا، وليحقق بغيته بنيل الغفران، كما هو وراد ومشروع في شرائع الديانة النصرانية.

وقد جعل بولس الإيمان بهذه العقيدة (عقيدة الصلب والفداء) شرطًا أساسيًا لقبول أي عمل من الأعمال الدنيوية والدينية لدى النصارى، فلم يجعلها قاصرة ولازمة فقط على من اراد

---

(١) كما يزعم النصارى.

وسعى لنيل الغفران[1].

يقول القس عبد الفادي في حديثه عن نشأة الخطيئة الأولى التي نشا الغفران ابتداءً عند رفعها عن البشرية على يد عيسى – عليه السلام –: (الخطيئة ظاهرة في تاريخ البشرية، فدخول الخطيئة إلى العالم نقرأ في رسالة رومية (٥: ٢): «بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم، وبالخطيئة الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس، إذ أخطأ الجميع» وقول الرسول هنا، يعني أن علة كون جميع الناس خطاة هو آدم أبو البشر، وقد اعتبر بولس قوله: «بإنسان واحد» أن آدم وحواء شخص واحد، ولم يذكر الرسول تجربة الحية، ولا معصية حواء أولاً؛ لأن غايته أن يبين أن آدم كان في ما فعله نائبًا عن كل نسله.

فآدم ولد منه البشر، وكان قد فقد بعصيانه حياة الاستقامة، وقصاصًا له طرد من فردوس الطهر إلى أرض لعنت له بسبب خطيئة، وعلى الأرض أنجب نسلاً، وكان هذا النسل بالطبيعة مطرودًا، فاقدًا ميراثه بالفردوس... ولأن الله محب. ومحبته غنية في الرحمة، وعنده غفران كثير، فالمحبة تحركت في قلبه، وحركت معها الحنان، الذي لا يسر بموت الخاطئ، فأخذ الرب الإله دور المنقذ الفادي في شخص يسوع المسيح لأجل خلاص البشر من لعنه الشريعة، ومصالحتهم مع الله بدم صليبه، ولرفع الدينونة عن الإنسان الخاطئ، وليكون كفارة ترضية لله، وإيفاء لعدله، وواسطة

---

(١) للاستزادة انظر: حياة التوبة والنقاوة (٢٧ – ٣٢)، الخطيئة والكفارة في الإسلام والمسيحية (١٦ – ٢٠، ٣٣)، عقائد الخلاص والفداء والكفارة في جميع الأديان (١٢ – ١٣)، ثلاث حقائق أساسية في الإيمان المسيحي وحي الكتاب المقدس، الثالوث ولاهوت الابن، كفارة المسيح. يوسف رياض. دار الأخوة. مصر (ط٦) ٢٠٠٩م ص(٨٩ – ١١٥)، غفران الذنوب. فلسفة الغفران. عوض سمعان، دار الأخوة، مصر (ط٢) ٢٠٠٦م ص(٩ – ٣٧، ١١٩ – ١٥٠)، الذنب والمغفرة في ضوء القرآن والعهد الجديد (١٢٨، ١٣٦)، عقيدة = =الخلاص في الديانة النصرانية (٧١ – ٨٣)، الخلاص من الخطيئة ٠٢٨ – ٦٩)، الخلاص المسيحي (٧٧ – ١٠٥)، تأثير المسيحية بالأديان الوضعية (١٨٧ – ١٩٥)، دائرة معارف القرن العشرين (١٠/٢٠٥ – ٢٠٨)، قصة الحضارة (١١/٢١٢ – ٢٤٠).

لاسترضاء الله واستعطافه، وإزالة غضبه، وقبول الخاطئ للمصالحة) [1].

ويذكر مجموعة من القساوسة في بحث تقدموا به في مجامعهم الكنسية لتوضيح وتأكيد ما يرونه ويقولونه عن موضوع كفارة المسيح عن الخطيئة الأولى لآدم ، وعن البشرية عامة، والتي كانت هي نقطة بداية ونشأة معتقد وشريعة طلب الغفران في الديانة النصراني فقالوا في معرض حديثهم عن ذلك[2]:

آدم آب البشر، فقد بعصيانه حياة الاستقامة وطرد من الفردوس إلى أرض لعنها الله بسبب الخطيئة، وعلى الأرض أنجب آدم نسلاً كان بالطبيعة مطرودًا، ولدوا خالين من صورة الله، فاسدين أخلاقيًا، وفي حال الدنيوية.

فضاع البر الأصلي، وفسدت الطبيعة نتيجة سقوط آدم، وهما عقاب الخطيئة الأولى التي تستوجب الموت، وتحتاج إلى كفارة طاهرة، وبلا عيب، فلابد أن تكون من عند الله نفسه، فهو وحده القادر بينما الإنسان عاجز، خاصة بعد أن فصلته خطيئته عن الله.

ولا سبيل للحصول على الغفران إلا إذا وفينا أولاً بمطلب عدالته، وهو القصاص عن الخطيئة الأولى بالموت، وبترك الأمر لرحمة الله والإيمان برحمته؛ لأنها وحدها هي القادرة على أن تأتينا بالصفح والغفران، وحازت البشرية على الغفران عن خطية أبيهم آدم بصلب المسيح ابن الله فداء عنهم؛ لأنه لم يرث الخطيئة في طبيعته الإنسانية؛ لأنه ولد بدون آب يورث الخطيئة، فقد ولد من عذراء بقوة روح القدس، فقبل الله كفارة المسيح، وليسجل بذل قانونًا مختصرًا للإيمان، وطلب الغفران: «وأعرفكم أيها الإخوة بالإنجيل الذي بشرتكم به وقبلتموه، وتقدمون فيه، وبه أيضًا تخلصون... فإنني سلمت إليكم في الأول ما قبلته أنا، أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب

(١) الخطيئة والكفارة في الإسلام والمسيحية ص(١٦ – ٢٠، ٣٣).

(٢) انظر: حتمية وضرورة الكفارة في صلب المسيح. حقوق الطبع محفوظة لرابطة الكنائس بسويسرا، ٢٠١٠م، ص(٦ – ٢١).

الكتب»[١] الرسالة الأولى لكنيسة كورنثوس ١٥: ١-١٤ [٢].

ويقول البابا شنودة الثالث[٣]: (أهم ما في التوبة، أنه بدونها لا يتم الخلاص يقول الرب «إن لم تتوبوا، فجميعكم كذا تهلكون»[٤] (لوقا (١٣: ٣))، وقد «أعطى الله الأمم التوبة للحياة»[٥] أعمال (١١: ١٨)... إن السيد المسيح قدم لنا دمه للخلاص والمغفرة، وإن التوبة هي التي تنقل استحقاقات دم المسيح في المغفرة.

فالخلاص مقدم للكل، ودم المسيح كاف للكل، ولكن لا ينال منه إلا التائبون حقًا، إن دم المسيح «يطهرنا من كل خطيئة»... ولكنه لا يطهرنا إلا من كل خطيئة نتوب عنها، وقد اشترط الرسول لهذا التطهير أمرين «إن سلكنا في النور»[٦]، وأيضًا «إن اعترفنا بخطايانا»[٧])[٨].

بخطايانا»[٧])[٨].

ومما نقله الدكتور أحمد شلبي عنهم فيما يتعلق بنشأة الغفران لرفع الخطيئة الأولى يقول: (إن من صفات الله العدل والرحمة، وبمقتضى العدل كان على الله أن يعاقب ذرية آدم بسبب الخطيئة التي ارتكبها أبوهم، وطُرد بها من الجنة، واستحق هو وأبناؤه البعد عن الله بسببها، وبمقتضى صفة الرحمة، كان على الله أن يغفر سيئات البشر، ولم يكن هناك من طريق للجمع بين العدل والرحمة إلا بتوسط ابن الله ووحيده، وقبوله أن يظهر في شكل إنسان، وأن يعيش كما يعيش الإنسان ثم يصلب ظلمًا ليكفر عن خطيئة البشر، وقد ورد في العهد الجديد ما نصه: وإن ابن

---

(١) العهد الجديد. الرسالة الأولى لكنيسة كورنثوس (١٥:١-١٤) ص (٤٤١).

(٢) انظر: حتمية وضرورة الكفارة في صلب المسيح. ص(٦ — ٢١).

(٣) البابا شنودة الثالث هو بابا الإسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية القبطية الأرثوذكسية في مصر توفي عام ٢٠١٢م.

(٤) العهد الجديد، لوقا (١٣: ٣) ص(١٩١).

(٥) العهد الجديد. أعمال الرسل (١١: ١٨) ص٣٣١).

(٦) رسالة يوحنا الأولى (١: ٧) ص(٢٣٠).

(٧) رسالة يوحنا الأولى (١: ٩) ص(٢٣١).

(٨) حياة التوبة والنقاوة (٢٧).

الإنسان قد جاء ليخلص ما قد هلك، فبمحبته ورحمته قد صَنَع طريقًا للخلاص، لهذا كان المسيح هو الذي يكفر عن خطايا العالم، وهو الوسيط الذي وفّق بين محبة الله تعالى وبين عدله ورحمته، إذ إن مقتضى العدل أن الناس كانوا يستمرون في الابتعاد عن الله بسبب ما اقترف أبوهم؛ ولكن باقتران العدل والرحمة، وبتوسط الابن الوحيد، وقبوله للتكفير عن خطايا الخلق قرب الناس من الرب بعد الابتعاد)[1].

ويذكر أحد الباحثين أيضًا بأن المسيحية وسمت الإنسان بالخطيئة منذ لحظة ولادته، والخاطئ هو مسيء إلى الله، ولن يتقبل منه أي عمل حتى يطلب الغفران من الله بالإيمان بصلب يسوع فداءً وتكفيرًا عن خطيئة آدم، ومن ثم القيام بالأعمال الصالحة التي يكفر بها خطاياه المستقبلية في حال وقع فيها، فمن هنا تبين أن الغفران في النصرانية نشأ تكفيرًا لخطيئة — آدم عليه السلام — بصلب عيسى — عليه السلام –، ثم لتكون عقيدة الصلب فيما بعد ركنًا لكل من يطلب الغفران من خطاة النصارى، مع ما يقومون به من طقوس ووسائل لنيل الغفران[2].

أيضًا يبين عبد المجيد الجندي في كتابه ملكوت الله في النصرانية كيفية نشأة الغفران لدى النصرانية، وأنها شريعة مبنية على معتقدهم في الخطيئة الأولى، فيقول عن ذلك: (اتخذت عقيدة الخطيئة في المسيحية من حادثة عصيان آدم لربه، وإخراجه من الجنة كتبرير لصلب المسيح كفارة عن هذه الخطيئة، فقالوا عن ذلك: وبسقوط آدم سقط الجنس البشري كله في الخطيئة التي ورثها منه، كما قال في رومية (٥: ١٢) وعدالة الله تقتضي هلاكه، ولكن الله عاد؛ فهو أيضًا رحيم، نعم إنه عادل، وكذلك رحيم... ولكن كيف يكون الله عادلاً، وفي نفس الوقت رحيماً حتى لا يفقد صفة من صفاته الأدبية التي لا يمكن أن تتغير، إن نفذ حكم العدالة فيصبح غير رحيم، وإن تمم ما تطلب الرحمة وصفح عن ذنب الإنسان، فيكون غير عادل.. فلكي يكون الله عادلاً ورحيمًا لابد أن يتمم ذلك على حساب نفسه ذلك بأن أخلي نفسه صائرًا في شبه الناس، وإذا

---

(١) اليهودية أحمد شبي (١٥٤ — ١٥٥).

(٢) انظر: الذنب والمغفرة في ضوء القرآن، والعهد الجديد (٩١ — ٩٩، ١٣٦ — ١٥١).

وجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه، وأطاع حتى الموت الصليب... وبذلك تم الفداء، والفداء معناه بأن يموت شخص بدلاً من آخر... كان الإنسان مذنبًا يستحق الموت، لكن الله ظهر في المسيح، أي تجسد في هيئة إنسان لكي يموت بدلاً من الإنسان، أي لكي يفديه كان من الضروري أن يتم ذلك، ومن هنا فتح الباب – الغفران – أمام رحمة الله لتصفح عن الإنسان المذنب الهالك، وتنقذه من الموت الأبدي، وعذاب الجحيم)[1].

(١) ملكوت الله في النصرانية واليهودية والإسلام. عبد المجيد الجندي، دار الدعوة. الإسكندرية، ص(١٣٦ – ١٣٧).

المبحث الثالث

تطور طلب الغفران[1]

ورد في مبحث[2] تطور الغفران لدى اليهود تعريفٌ لمفهوم التطور بأنه هو: التغير التدريجي الذي يحدث في تركيب المجتمع، أو العلاقات أو النظم أو القيم السائدة فيه[3].

إن الناظر للتعريف بمفهوم التطور، يجد أن التطور لا يلزم منه التغير للأفضل، فهو مفهوم شامل لكل تغير حصل بصورة تدريجية؛ سواء كان هذا التغير للأفضل، أو للأسوأ، كما أنه شامل لكل تغيير يتعلق بتركيبة مجتمع، أو بعلاقاته، أو نظمه، أو قيمه السائدة فيه.

لهذا فإن الباحث في تاريخ تشريعات الديانة النصرانية وعقائدها عامة، وفي معتقد وشريعة

---

(١) انظر: قصة الحضارة (١٠/١٢٥ – ١٤٢)، (١١/٢٤٩ – ٢٦٧، ٢٧٧ – ٣١٤، ٣٧٠ – ٣٩٧)، دائرة معارف القرن العشرين (١٠/١٩٧ – ٢٤٨)، اليهودية أحمد شلبي (٧٠ – ٩٣)، مصادر الديانة النصرانية عبد الرازق الأرو (١/٨٥ – ١٠٥)، تحريف رسالة المسيح. بسمة أحمد (٧٧ – ٢١٣)، المسيحية لساجد مير (٤٥ – ٦٨)، المسيحية بين التوحيد والتثليث (١٠٩ – ١٦١)، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (٣٣٧ – ٣٥٤)، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية للخلف (١٧١ – ١٩٠)، مقارنة الأديان للخطيب (٢٣٦ – ٢٥٨)، قصة الديانات (٤١٩ – ٤٤٩)، ملكوت الله في النصرانية (١٠٧ – ١٤٠)، مظاهر الوثنية في عقائد أهل الكتاب (٣٩٥ – ٤٠٦)، قاموس الأديان الكبرى الثلاث (٥٨٦)، الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه (٧٢ – ٩٢)، عقيدة الخلاص في الديانة النصرانية (١٢٢ – ١٥٧)، تأثر المسيحية بالأديان الوضعية (٤٥ – ٩٠، ٢٠٦)، محاضرات في النصرانية. محمد أبو زهرة (٣١ – ٣٩، ٦٨ – ٧٣، ١١٢، ١٣٠، ١٥٤، ١٦٠)، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل د. هاشم جودة، المركز العربي. الإسكندرية. القاهرة (١٢١ – ١٢٥)، خرافات التوراة والإنجيل. محمد حسني يوسف. دار الكتاب العربي. دمشق. القاهرة (ط١) ٢٠٠٦م، ص(١٨٩ – ٢٣٦، ٢٥٧ – ٢٨٣).

(٢) المبحث الثالث من الفصل الأول في الباب الثاني ص(١٤٤).

(٣) المعجم الوسيط (٥٩٠).

الغفران بصفة خاصة – باعتبار أنها موضوع بحثنا – سيجد الباحث نفسه أمام تاريخٍ حافل بمراحل تطور تمثل بتغيير وتحريف متوالي تناول الديانة النصرانية بشرائعها، وعقائدها، وشعبها فأدى هذا التحريف والتغيير إلى انحراف النصارى بديانتهم عما كانت عليه في عهد عيسى – عليه السلام – لتظهر هذه الديانة بطابع وثني شامل لجميع جوانب هذه الديانة.

وقد كان هذا التغيير مدفوعًا من عدة أسباب متداخلة، ومتلازمة الآثار والنتائج، ويهمنا من ذلك ما حل من آثار في معتقد وشريعة طلب الغفران لدى النصارى، وما نتج عنه، فأولى هذه الأسباب[1]:

- الاضطهادات التي عانتها النصرانية في عصورها الأولى، والتي استمرت ثلاثة قرون، لقي النصارى خلالها صنوفًا من الاضطهادات المدمرة على يد اليهود ابتداءً؛ وقد تمثل ذلك في البداية في معارضتهم لدعوة المسيح – عليه السلام –، ومحاولة الإيقاع به لدى الحاكم الروماني في وقته، وقد انتهت هذه المرحلة من مراحل الاضطهاد بالخاتمة التي بينها الله تعالى لنا بحادثة رفع المسيح – عليه السلام –، وإدعاء اليهود بأنهم قد قاموا بقتله صلبًا، وفي هذه المرحلة كان معتقد الغفران وشرائعه لدى النصارى معمولاً به كما هو وارد في شرائع العهد القديم.

تلت هذه المرحلة المرحلة الثانية من اضطهاد اليهود للنصارى، وذلك عقب رفع عيسى – عليه السلام –، وسبب ذلك تضاعف أعداد النصارى، فبدأ اليهود بالقبض على تلاميذ المسيح،

---

(١) انظر: قصة الحضارة (١٠/١٢٥ – ١٤٢)، (١١/٢٤٩ – ٢٦٧، ٢٧٧ – ٣١٤، ٣٧٠ – ٣٩٧)، دائرة معارف القرن العشرين (١٠/١٩٧ – ٢٤٨)، اليهودية أحمد شلبي (٧٠ – ٩٣)، مصادر الديانة النصرانية عبد الرازق الأرو (١/٨٥ – ١٠٥)، تحريف رسالة المسيح. بسمة أحمد (٧٧ – ٢١٣)، المسيحية لساجد مير (٤٥ – ٦٨)، المسيحية بين التوحيد والتثليث (١٠٩ – ١٦١)قصة الديانات (٤١٩ – ٤٤٩)، مظاهر الوثنية في عقائد أهل الكتاب (٣٩٥ – ٤٠٦)،عقيدة الخلاص في الديانة النصرانية (١٢٢ – ١٥٧)، تأثر المسيحية بالأديان الوضعية (٤٥ – ٩٠، ٢٠٦)، محاضرات في النصرانية. (٣١ – ٣٩، ٦٨ – ٧٣، ١١٢، ١٣٠، ١٥٤، ١٦٠)، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل (١٢١ – ١٢٥)، خرافات التوراة والإنجيل. (١٨٩ – ٢٣٦، ٢٥٧ – ٢٨٣).

والحكم عليهم بالقتل، أو الجلد، أو السجن، كما قاموا بالوشاية بهم لدى أباطرة الرومان، وتحريضهم عليهم، فقام الأباطرة الرومان بدورهم العظيم في اضطهاد النصارى، والذي حملوا في طياته لهم أشد ألوان وصور الاضطهاد، والقتل، والتنكيل، والتعذيب، والتشريد وحرقهم أحياء، وحرق كتبهم، وهدم كنائسهم، وحرمانهم من أبسط حقوق، وتتبعهم في أنحاء الدولة الرومانية للقضاء عليهم، وقد قام هذا الاضطهاد على النصارى مدفوعًا من عدة أسباب أولها كما ذكرت وشاية اليهود بالنصارى لدى أباطرة الرومان، وتحريضهم عليهم، كذلك قطع النصارى الأوائل كل علاقة بالآلهة الرومانية، ورفضهم تقديسها، وتقديس الإمبراطورية الرومانية، أيضًا رفضهم دفع وأداء الضرائب التي كانت تفرضها الدولة الرومانية على جميع رعاياها.

– فأدت هذه الاضطهادات إلى قتل عدد كبير من أئمة النصارى، فما تركوا عالمًا منهم إلا قتلوه، وكان الأباطرة يتفننون في طرق إبادة المسيحية من الوجود، فقد أبادوا العلماء حتى لا يوجد من يرشد إليها، ويتوارث العلم بها.

– أيضًا أدت هذه الاضطهاد إلى ضياع الإنجيل الصحيح؛ لهذا فما أن انتهت هذه الاضطهادات حتى قام النصارى بإعادة تدوينها، ولكنها دونت بلغة يونانية، وبسند منقطع مما أدى إلى ورود التحريف على عقائدها وشعائرها وطقوسها الدينية، وإلى حشوها بعقائد وشرائع وطقوس وثنية، فخرج النصارى من جوف هذه الاضطهادات بأنا جيل جديدة تحمل عقائد وشرائع محرفة، وذات طابع وثني غير ذلك الإنجيل الذي جاء به عيسى – عليه السلام –.

– أيضًا أدت هذه الاضطهادات إلى تشتت النصارى خارج البلاد اليهودية الأمر الذي تولد عنه مخالطتهم لشعوب وحضارات أخرى وثنية، وأصحاب فلسفات يونانية هناك.

وقد كانت هذه الفلسفات عبارة عن خليط من الديانات الهندية، والفارسية، والمصرية، فتأثر النصارى بهم، وقاموا هناك للتبشير بالديانة النصرانية بين اليهود اليونانيين، والوثنين مما كان له الأثر الكبير على شرائع وعقائد الديانة النصرانية، حيث قام المبشرون أثناء تبشيرهم بالديانة النصرانية بالانفصال عنها، وبترك ديانة بني إسرائيل وشرائعها وعقائدها، وذلك لكي يجذبوا الناس

إلى هذه الديانة الجديدة، ولكي تروق في أعينهم، فدخل الوثنيون إلى الديانة النصرانية بذهن مليء بالخرافات والوثنيات، وفي مقابل ذلك، لم يجدوا من يمحو لهم من أذهانهم وعقولهم هذه الوثنيات، خاصة وأن العلماء قتلوا، والكتاب الأصلي أبيد، والدعاة قد انفصلوا عن الديانة التي جاء المسيح متعبدًا بها، لذلك وجدوا أرضًا خصبة ليمزجوا أفكارهم ووثنياتهم بهذه الديانة التي دخلوا بها.

- كذلك أدت هذ الاضطهادات إلى زيادة اتجاه النصارى إلى السرية في معتقداتهم، وأثناء ممارسة شعائرهم وطقوسهم الدينية خوفًا من الاضطهاد، فكانت هذه السرية من أكبر الأمور أيضًا التي تسربت الوثنيات من خلالها، ذلك أن الوثني كان يدخل النصرانية، ويمزج عقائده بالمسيحية دون أن يجد من يصحح له المعتقد الصحيح، أو أنه يخاف أن يجهر بمعتقده خوفًا من الاضطهاد.

وبذلك خرجت الديانة النصرانية من يد الاضطهادات والفلسفات اليونانية بتطوير كبير على تعاليمها وعقائدها، وشرائعها، وطقوسها الدينية بصورة عامة، وعلى معتقد وشريعة الغفران بصورةٍ خاصة، تطويرًا يحمل في طياته طابع الوثنية والخرافة.

- ومن الأسباب أيضًا التي كان لها دور ويد طولى في تطوير الديانة النصرانية بصورة عامة، والغفران بصورة خاصة، تشريعات بولس وأفكاره، وتشريعات الرؤوساء الروحانيين، والمجامع الكنسية وسيطرتهم.

فبولس اعتنق الديانة النصرانية متأخرًا، رغم أنه كان يهوديًا متعصبًا، ومن أشد المضطهدين للنصارى، وبعد اعتناقه للديانة النصرانية أدخل على الديانة النصرانية الكثير من الأفكار والتشريعات النابعة من ثقافته اليونانية، فمما أدخله على الديانة النصرانية عقيدة الصلب والفداء والتجسد تكفيرًا للخطيئة الأولى، أيضًا دعا إلى نشر الديانة النصرانية، ونقلها من كونها ديانة خاصة ببني إلى إسرائيل إلى أن صارت ديانة عالمية، كذلك أدخل عليها بعض تعاليم اليهود ليجذب لها أتباعًا من اليهود، وليس هذا وحسب، فقد عمد بولس ليرضي المثقفين اليونان، فاستعار من فلاسفة اليونان فكرة اتصال الإله بالأرض عن طريقة الكلمة، أو عن طريق ابن الإله،

أو عن طريق الروح القدس.

هذا ولم ينفر بولس من الطقوس الوثنية، على العكس اقتبس كثيرًا من هذه الطقوس ليضمن نشر ديانته بين الوثنيين دون أن ينفروا منها، كعيد رأس السنة، وبعض طقوس الغفران، كطقوس السر المقدس.

- أما التطورات التي أضافها رجال الدين والكنائس النصرانية، فكان ذلك من خلال سيطرتهم السياسية والدينية، ومن خلال المجامع المسكونية التي ازدهرت في عهد الإمبراطور الروماني قسطنطين حين أيد الديانة النصرانية، وأصدر منشورًا يعترف بالديانة النصرانية كدين، وبذل مجهودًا خاصًا ليكسب تأييد النصارى، فبنيت الكنائس النصرانية، وانتشرت بصورة كبيرة، بل وازدانت بألوان الثقافات والفنون الإغريقية، فجذبت بذلك الكثير من الأتباع الجدد، وحرصًا من الكنيسة على استبقاء مكانتها وتعظيمًا لشأنها أعطت لنفسها من خلال تلك المجامع المسكونية العصمة، والكثير من الحقوق، من ذلك أنها ادعت لنفسها أن النجاة تتوقف عليها، وأن لها حق منح الغفران، والتعميد، وإزالة الذنوب... كذلك أذاعت معجزات نسبتها إلى القديسين ليعظم شأنهم في نفوس الأتباع، علاوة على ما تضمنته تلك القرارات الوثنية التي صدرت عن تلك المجامع المسكونية من تألية عيسى، عقيدة التثليث وغيرها، والعمل على معاقبة من يتصدى، أو يرفض الامتثال لما تأمر به الكنيسة، أو من ينكر ما أقرت به الكنيسة؛ فإنه سوف يتعرض للقتل، والتشريد، والتعذيب والسجن، شأنهم في هذه السياسية المستبدة كشأن الإمبراطورية الرومانية.

إن هذه الأسباب مجتمعة الاضطهاد الروماني ، الفلسفات اليونانية، بولس، سيطرة الكنائس كان لها دور كبير في تطوير سائر العقائد والشرائع والطقوس النصرانية بصورة عامة، والغفران بصورة خاصة بحيث أخرجت لنا تعاليم وعقائد وشرائع في الغفران خاصة، وسائر الأمور الدينية في الديانة النصرانية تحمل طابعًا مكونًا من خليط من الفلسفات اليونانية ذات عقائد وطقوس وتعاليم مفعمة بالوثنية والخرافة، تحولت من خلالها ملكية الغفران من كونها حقًا إلهيًا لله — عز وجل — يهبه لمن يشاء من عباده التائبين إلى اعتباره واجبًا لازمًا، على الإله أن يهبه لمن

تقدم إليه بالتوبة، وليكون الغفران ملكية مشتركة بين الإله وبين عيسى – عليه السلام – تارة، وبين الرب ورجال اللاهوت تارة أخرى.

المبحث الرابع

أنواع طلب الغفران[1]

لطلب الغفران في الديانة النصرانية أنواع، والناظر لأقوال علماء النصارى في أنواع طلب الغفران يجد أن لهم أقوال متنوعة، ويعود هذا التنوع في أقوالهم تارة لأنواع الخطايا، وتارة للزمان الحاصل فيه الغفران، وتارة أخرى لمن بيده حق منح الغفران.

أنواع طلب الغفران باعتبار أنواع الخطايا:

يقول القس جورج كتنج عن أنواع الغفران بحسب أنواع الخطايا[2]:

١ – **الغفران الأبدي** أو الفدائي عن الخطيئة الأبدية، وهذا النوع نحصل عليه في بداية الحياة مع المسيح، دبره الله لنا بدم المسيح، فبدمه ننال العفو، يقول الرب: «هذا هو دمي، دم العهد الذي يسفك من أجل أناس كثيرين لغفران الخطايا»[3]، «ويكاد لا يطهر شيء حسب الشريعة إلا بالدم، وما من مغفرة بغير إراقة دم»[4] إن نعمة الله هي المصدر، ودم المسيح هو وسيلة الغفران لنا.

٢ – **الغفران المتجدد** يحتاجه المؤمن بعد الغفران الأبدي، وذلك عندما يحزن الروح القدس، وذلك إذا سمح للشر – المعاصي المتجددة – أن يدخل حياته، إنه غفران يُعطى لابن

---

(١) أنواع الغفران الواردة في هذا المبحث هي أنواع يزعمها ويدعيها علماء النصارى .

(٢) انظر: غفران الخطايا. جورج كتنج. بيت عنيا (ط٢) ١٩٩٢م، ص(٣ – ٢٢).

(٣) العهد الجديد. إنجيل متى (٢٦: ٢٨) ص(٧٥).

(٤) العهد الجديد. رسالة العبرانيين (٩: ٢٢) ص(٥٦٠).

يدرك علاقته مع الأب، ولكنه بسبب الخطيئة فَقَدَ تمتعه بالغفران إلى حين.

فمن المهم أن نرى تلك العلاقة – بيننا وبين الرب – باقية دون أن تتعكر، فالعلاقة لا تعتمد على تمتع الشخص بها، بل إن تمتعه بها يعتمد على سيره بما يتفق مع هذه العلاقة، فإننا إزاء فشلنا المخجل، نشعر بالندم في ضوء محبة المسيح الغامرة، وبدلاً من أن تتناقص محبته لنا إزاء فشلنا المتكرر، فإنها تفتح طريقًا جديدًا لتُظهر نفسها، أن المسيح يمارس وظيفته هنا، كالشفيع البار عندما نخطئ، ولنأت الآن إلى دورنا نحن: «إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا، ويطهر من كل إثم»[1] إن هذه الكلمات تعلمنا بكل وضوح أن أخطاءنا المعترف بها هي مؤكدة للغفران.

٣ – الغفران السياسي أو التدبيري، وهو الغفران المرتبط بحكم الله وإجراء تأديباته هنا في الأرض، وبطرق الله مع شعبه، فهو غفران يترتب عليه الخضوع ليد الله في الحكم، فقد دعينا لنُخضع أنفسنا تحت يد الله القوية لكي يرفعنا في حينه، ولنسلك أيام غربتنا هنا بكل خوف، فإننا ندعو «الأب الذي يحكم بغير محاباة حسب عمل كل واحد»[2].

إنه يريدنا أن نكون غيورين في سلوكنا، وألا نسقط في خداع أنفسنا، فلابد لنا أن نتحقق من أن الله لن يسمح لنا بأن نتلاعب مع الخطيئة، ونفلت من العقاب، ليتنا لا ننسى أن هنا محبة قوية، وجبارة خلف يده التي تحكم كل لحظة[3].

من خلال النظر لأنواع الغفران السابقة عند النصارى يتبين بأن المراد بهذه الأنواع لطلب الغفران ما يلي:

– غفران أبدي، وهو ما يتعلق بخطيئة آدم عليه السلام، وقد نالت البشرية الغفران عنها

---

(١) العهد الجديد. رسالة القديس يوحنا الأولى (١: ٩) ص(٥٩٩).

(٢) العهد الجديد. رسالة القديس بطرس الأول (١: ١٧) ص(٥٨٤).

(٣) انظر: غفران الخطايا ص(٣ – ٢٢).

من خلال قتل وصلب عيسى – عليه السلام – فداءً عن جميع البشر.

– والنوع الآخر هو الغفران المتجدد، وهو ما يتعلق بالخطايا الأخرى التي يقع بها البشر، وهذا النوع سينال البشر الغفران عنه من خلال اعترافهم بخطاياهم، وبذل الأسباب والوسائل التي يتقدمون بها لطلب الغفران بمعية شفاعة عيسى – عليه السلام – لهم[1].

أنواع طلب الغفران باعتبار الزمان الحاصل فيه طلب الغفران:

١ – غفران في الماضي، وهو غفران الخطيئة التي ورثها الإنسان عن آدم – عليه السلام – وهو ما يعبر عنه «بالتبرير»، والمراد بالتبرير: (هو غفران الخطيئة التي ولد بها الإنسان ليصبح مقبولاً كليًا في نظر الله، وهذا أمر قد صنعه الله لنا بسفك دم عيسى على الصليب «المؤمنون متبررين مجانًا بنعمته بالفداء الذين بيسوع المسيح»[2])[3].

٢ – غفران في الحاضر، وهو غفران الخطايا الحاصلة في الحياة الحاضرة التي نحياها، وهذه الحياة تبدأ بالميلاد، وتنتهي بالموت، ففي هذه الحياة لنا حرية إرادة تميل إلى الخير أو الشر، وفيها قد يسقط الإنسان ويتوب، والغفران في الحاضر هو ما يعبر عنه «بالتقديس»، والمراد بالتقديس: هو الخلاص كل يوم بالتطهير من ضعف الإنسان، وزلاته بروح القدس، وشفاعة عيسى – عليه السلام – ليساعده على السلوك بطريقة مرضية للرب، وليمكنه من إكمال خطة الله، وغرضه في حياته: «لأن الله اختاركم منذ البدء ليخلصكم بالقداسة التي يمنحها الروح، وبالإيمان بالحق»[4][5].

---

(١) انظر: الخلاص المسيحي (٥٤)، الذنب والمغفرة (٩١ – ١١١).

(٢) العهد الجديد. رسالة رومية (٣: ٢٤) ص(٣٨٨).

(٣) انظر: الخلاص الحقيقي (٦١ – ٦٢)، غفران الذنوب. عوض سمعان (١٥١)، عظمة الخلاص (٩٧)، الخلاص المسيحي (٥١).

(٤) العهد الجديد. رسالة كنيسة تسالونيكي الثاني (٢: ١٣) ص(٥١٩).

(٥) انظر: الخلاص الحقيقي (٦٤)، لماذا القيامة. البابا شنودة الثالث، الكلية الإكليريكية. القاهرة (ط٩) ٢٠٠٩م

٣ – **الغفران في المستقبل**، يقول النصارى عن هذا الغفران بأنه طلب غفران في الدهر الآتي، وهذا يتحقق لهم -كما يقولون- برحمة إلههم ومخلصهم يسوع المسيح عند ظهوره الثاني: «وصونوا أنفسكم في محبة الله منتظرين رحمة ربنا يسوع المسيح من أجل الحياة الأبدية»(١)، «منتظرين اليوم المبارك الذي نرجوه يوم ظهور مجد إلهنا العظيم، ومخلصنا يسوع المسيح»(٢)، وهذا الغفران هو ما يعبر عنه «بالتمجيد»، ويراد به: الحصول على الحياة الأبدية عن طريق الحصول على جسد ممجد، وورث السماء مع المسيح(٣).

أنواع الغفران باعتبار من يمنح حق الغفران بحسب كلمة الله له(٤):

يقول الدكتور القس حليم حسب الله في كتابه عظمة المخلص أنواع الغفران بحسب كلمة الله كالآتي:

١ – **الغفران الأبدي**(٥): وهو مؤسس على عمل المسيح الكامل الذي تم بموته على الصليب، وسفك دمه الكريم، والإيمان به كالفادي والمخلص، فكل ما علينا يوضع في حساب المسيح، وكل ما للمسيح يوضع في حسابنا، لذلك لا يعود الله يذكر خطايانا وتعدياتنا في ما بعد ولا يديننا، وهذا غفران صادر من الله لنا مقابل صلب المسيح وفدائه لنا.

٢ – **الغفران الأبوي**(٦): وهو غفران الزلات بعد الرجوع إلى الله، وهو غفران أدبي لرد

ص(٩٦)، الخلاص المسيحي (٥١).

(١) العهد الجديد. رسالة بولس إلى القديس يهوذا (٢١) ص٦١٧).

(٢) العهد الجديد. رسالة بولس إلى القديس تيطس (٢: ١٣) ص(٥٤٢).

(٣) انظر: حالة أرواح الراقدين (٨٩)، الخلاص الحقيقي (٦٨ – ٦٩)، بدعة الخلاص في لحظة (٦٣)، غفران الذنوب. عوض سمعان (١٥٢)، الخلاص المسيحي (٥٢).

(٤) انظر: عظمة المخلص وروعة الخلاص ص(٩١ – ٩٣).

(٥) انظر: السابق.

(٦) انظر: السابق.

الشركة مع الله ورفع التأديب، وهذا النوع يتطلَّب من المؤمن الاعتراف للرب فور سقوطه في زلة ما: «أما إذا اعترفنا بخطايانا، فهو أمين وعادل يغفر لنا خطايانا، ويطهرنا من كل شر»[١]. مع ملاحظة أن هناك فارقًا بين الغفران الأبدي، والغفران الأبوي، فالغفران الأبدي نحصل عليه مرة واحدة، وأساسه دم المسيح، ووسيلة الحصول عليه الإيمان، وهو أساس نجاتنا من الدنيوية الأبدية، والهلاك الأبدي، أما الغفران الأبوي، فهو غفران يومي، نحتاج إليه في علاقتنا مع الله أبينا، وأساسه الاعتراف بالذنب، والرجوع عنه، فننجو من التأديب الإلهي، ونسترد الشركة مع الله باعتباره أبانا السماوي.

٣ – **الغفران الأخوي**[٢]: وهو غفران أخ مؤمن لأخيه الذي أخطأ في حقه، وهذا يصل مداه كما قال الرب لبطرس إلى سبعين مرة سبع مرات، أي عدد لا يحصى: «فدنا بطرس وقال ليسوع: يا سيد، كم مرة يخطأ إلى أخي وأغفر له أسبع مرات؟ فأجابه يسوع: لا سبع مرات، بل سبعين مرة سبع مرات»[٣]. ولقد قال الرب يسوع: «ومتى وقفتم تصلون فاغفروا إن كان لكم على أحد شيء، لكي يغفر لكم أيضًا أبوكم الذي في السماوات زلاتكم. وإن لم تغفروا أنتم لا يغفر أبوكم الذي في السماوات أيضًا زلاتكم»[٤]، وقال أيضًا: «وإن أخطأ إليك أخوك فأذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما»[٥].

٤ – **الغفران الكنسي**[٦]: وهذا تمارسه الكنيسة (جماعة المؤمنين) في حال سقوط أحد المؤمنين في شر يستوجب الحُكم عليه من الكنيسة، وإن وقعت عليه أحكام باسم الرب يسوع بسبب خطئه، وشر واضح أمام الجماعة، ومُهين لاسم الرب يسوع، مثل الشخص الذي تزوج بامرأة أبيه: «شاع في كل مكان خبر ما يحدث عندكم من زنى، وهو زنى لا مثيل له حتى عند

---

(١) العهد الجديد. رسالة القديس يوحنا الأول (١: ٩) ص(٥٩٩).

(٢) انظر: عظمة المخلص وروعة الخلاص ص(٩١ – ٩٣).

(٣) العهد الجديد. إنجيل متى (١٨: ٢١ – ٢٢) ص(٥١).

(٤) العهد الجديد. إنجيل مرقس (١١: ٢٤ – ٢٥) ص(١٢١).

(٥) العهد الجديد. إنجيل متى (١٨: ١٥) ص(٥٠).

(٦) انظر: هامش (٢).

الوثنيين: رجل منكم يعاشر زوجة أبيه، ومع ذلك فأنتم منتفخون من الكبرياء! وكان الأولى بكم أن تحزنوا حتى تزيلوا من بينكم من ارتكب هذا الفعل، أمّا أنا فغائب عنكم بالجسد ولكني حاضر بالروح، فحكمت كأني حاضر على الذي فعل هذا الفعل. فعندما تجتمعون وأنا معكم بالروح باسم ربنا يسوع وقدرته، سلموا هذا الرجل إلى الشيطان، حتى يهلك جسده، فتخلص روحه في يوم الرب»[1]، فحين يرجع ويندم، ويعترف هذا الشخص المعزول بسبب الخطيئة التي ارتكبها، ويتوب عنها، يجتمع المؤمنون باسم الرب يسوع، ويقررون عودته للشركة.

٥ – غفران الإنسان لنفسه[2]: وهو أن يسامح الشخص نفسه، كما سامحه المسيح، وإلا فإنه يسقط فيما يسمَّى بعقدة الشعور بالذنب.

---

(١) العهد الجديد. رسالة بولس الأولى إلى الكنيسة كورنثوس (٥: ١ – ٥) ص(٤٢١).

(٢) انظر: عظمة المخلص وروعة الخلاص ص(٩١ – ٩٣).

المبحث الخامس
عوائق طلب الغفران

جاء في كتب النصارى المقدسة، وعلى لسان أحبارهم ورهبانهم، التحذير لكل المؤمنين الراغبين بالتوبة طلبًا للغفران، وسعيًا لنيله من التأثر أو الوقوف أمام عوائق قد تشغلهم عن أن يسلكوا الطريق الروحي الذي رسمه لهم الرب؛ ليطلبوا الغفران عن خطاياهم.

يقول البابا شنودة الثالث محذرًا من عوائق التوبة أمام طالب الغفران: (لا يوجد شيء يحاربه الشيطان أكثر من التوبة..

ذلك لأنها تضيع كل تعبه السابق؛ لذلك تبدو أحيانًا صعبة على البعض؛ لأنه حينما يريد الإنسان أن يتوب، يضع الشيطان أمامه كل ما يمكن من العثرات والعراقيل التي تمنع، أو تعطل توبته)[1]، ومن هذه العوائق[2]:

١ — العثرات، سواء كانت إغراءات أو فرصًا لم تكن متاحة من قبل، حتى تضعف أمامها الإرادة. ويمكن أن تكون البيئة إحدى العوائق التي تعطل التوبة بما تقدمه من عثرات، ومن مفاهيم خاطئة.

٢ — مقارنة الخاطئ نفسه بمستويات ضعيفة ليظن مع هذه المستويات أنه في حالة حسنة لا تحتاج إلى توبة، أو تقف أمامه الأعذار، كأن يقول: كل الناس هكذا... فهل أشذ عن الكل؟! طبعًا ليس عذرًا أن تكون الغالبية مخطئة؛ فقد كان نوح محتفظًا ببره في عالم كله شر.

---

(١) حياة التوبة والنقاوة ص(٢٨).

(٢) انظر: حياة التوبة والنقاوة (٢٨ — ٣٠)، الطريق الروحي حياة التوبة. القمص زكريا بطرس كنيسة مريم العذراء والأنباء أبرم برايتون — انجلترا، ٢٠٠١م ص(٣٠ — ٣٩)، موسوعة طقوس الكنيسة القبطية (٢/٧٥)، التوبة والاعتراف. القمص مرقص عزيز خليل. الكنيسة المعلقة كنيسة القديسة مريم العذراء ص(٢٧).

٣ – ضعف الشخصية، بحيث يمكن أن تنقاد للوسط المحيط، والمفروض أن تكون للإنسان شخصيته الثابتة التي لا تنجرف مع الاتجاه العام، فلابد للراغب بالغفران أن يكون قوي الشخصية؛ ليتمكن من التوبة طلبًا للغفران، يقول الرسول بولس: «لا تتشبهوا بما في هذه الدنيا»[١].

٤ – التأجيل: إن الشيطان لا يحاربنا حربًا مكشوفه بالامتناع عن التوبة، بل يدعون إلى التأجيل بتقديم إغراءات معينة، وللتأجيل خطورات، منها: إن فرص التوبة قد تفلت، وكذلك فإن الخطيئة كلما استمرت تأخذ سلطانًا، وتثبت أقدامها، وربما بالتأجيل مجرد الرغبة في التوبة لا توجد، والتأثيرات الروحية التي تدفع إليها قد تفقد مفعولها، فالسرعة مهمة في التوبة، فقد يموت الإنسان فجأة: «أيامي أسرع من عداء، تضر ولا ترى خيرًا»[٢].

إن في التأجيل استهتارًا بعدم سماع صوت الله، وبعمل النعمة، وأننا بذلك نرفض المصالحة مع الله، ونفضل الاستمرار في مقاومته، والإضرار بأنفسنا روحيًا ونفسيًا وجسديًا وضياعًا للمستقبل الأبدي والأرضي.

٥ – اليأس أن الله يستطيع أن يغير النفس مهما فعلت من شرور، ويقبل كل من يُقبل إليه، فإنه يقول: «من يقبل إليّ، لا أخرجه خارجًا»[٣].

فلابد أن تؤمن وتثق أن الله يحبك، ويريد خلاصك، ويهبك الرحمة دائمًا.

٦ – الخجل من الاعتراف بالخطايا أمام الآباء، وينسى هؤلاء أن الله وملائكته وقديسيه يرونهم في شرهم، وسوء أفعالهم.

فالشيطان يستفيد من الخجل، بحيث يجعل الخاطئ يحجم عن طلب الغفران، وأخذه

---

(١) العهد الجديد. رسالة كنيسة رومية (١٢: ٢) ص(٤٠٥).

(٢) العهد القديم. سفر أيوب (٩: ٢٥) ص(٨٠١).

(٣) العهد الجديد. إنجيل يوحنا (٦: ٣٧) ص(٢٤٩).

ليحرمه من البركات التي تنتج عن التحرُّر من الخطيئة، ونيل الغفران عنها.

٧ – توهم البر الذاتي، الذي لا يشعر فيه الإنسان أنه مخطئ، وأن التوبة سهلة على المتواضعين، وصعبة على الأبرار في أعين أنفسهم، فعلى أي شيء يتوبون؟! ماداموا لا يعترفون أنهم أخطاؤا في شيء! حتى إن جابههم أحد بخطاياهم، إما أن ينكروها، أو يفسروها تفسيرًا ملتويًا، أو يحملوا مسئوليتها على غيرهم، أو يجادلوا ويبرروا لأنفسهم.

٨ – عدم وجود مخافة الله في القلب، فحيث لا توجد المخافة، لا توجد التوبة أيضًا، إن مخافة الله تشعر الإنسان بخطاياه، فتدفعه إلى التوبة.

٩ – المشغولية، فالمشغولية حجة واهية يحاول أن يتخفى وراءها إبليس لتعطيل الكثيرين عن التوبة طلبًا للغفران.

إن الشيطان يغرق الراغب بالغفران في المشغوليات ليلهيه عن خلاص نفسه، يقول الرسول يوحنا إن: «العالم يزول ومعه شهواته»[(١)].

وإن: «الكل باطل وقبض الريح، ولا منفعة تحت الشمس»[(٢)].

١٠ – الحرمان، ينظر البعض إلى حياة الغفران والتوبة على أنها مجرد حرمان من متع الحياة، وتقييد لحرية الإنسان، فيترددون بالتوبة والواقع أن ما يظنون أنه متعة، ما هو إلا تخدير للضمير، وسكر بخمر الخطيئة، وتجرع كأس سمها مميت.

وما يتوهمون أنه حرية ما هو إلا قيود ذهبية، وأربطة حريرية، كأسر الإنسان في عبودية مرة، فالكتاب المقدس يقول: «كل من يعمل الخطيئة هو عبد للخطيئة»[(٣)]، إن حياة التوبة حياة

---

(١) العهد الجديد. رسالة القديس يوحنا الأول (٢: ١٧) ص(٦٠١).

(٢) العهد القديم. سفر الجامعة (٢: ١١) ص(٩٧٣).

(٣) العهد الجديد. إنجيل يوحنا (٨: ٣٤) ص(٢٥٨).

إيجابية، فيها مكاسب لا تحصى، وأرباح باقية تدوم إلى أبد الدهور[1].

المبحث السادس

الغفران وصلته بأحبار النصارى ورهبانهم[2]

لقد تبين في المباحث السابقة المراد بالغفران في النصرانية من حيث المعنى، والنشأة، والتطور، وسيظهر هنا في هذا المبحث وفي مبحث وسائل طلب الغفران كما سيأتي معنا كيف كان لأحبار النصارى ورهبانهم دور كبير ومؤثر في عملية التركيب، والخلط، والتحريف في أمورٍ أدخلت على الديانة النصرانية بعقائدها، وشرائعها بصورةٍ عامة، وفي معتقد وشريعة الغفران بصورة خاصة باعتبار أنها هي موضوع بحثنا في هذه الرسالة.

ولما كان لأحبار النصارى ورهبانهم دور كبير، ويد طولى مؤثرة في عقائد وشرائع الغفران في الديانة النصرانية بصورةٍ خاصة، وفي الشرائع والعقائد الأخرى بصورة عامة، لابد من التنبيه على أن هذا الدور ظهر تحت مظلة «الكنيسة النصرانية»[3]، وذلك من خلال ما تمخضت عنه هذه

---

(١) للاستزادة انظر: حياة التوبة والنقاوة (٢٨ – ٣٠)، التوبة والاعتراف ص(٢٧)، الطريق الروحي حياة التوبة (٣٠ – ٣٩)، موسوعة طقوس الكنيسة القبطية (٧٥/٢).

(٢) للاستزادة. انظر: اليهودية أحمد شلبي (٨١ – ٩٣)، أثر الكنيسة على الفكر الأوربي. أحمد علي عجيبة، دار الآفاق العربية. القاهرة (ط١) ٢٠٠٤م ص(٥ – ٨، ١٤ – ١٧، ٧٧)، مقارنة الأديان للخطيب (٢٨٦ – ٣٠٠)، مصادر الديانة النصرانية للارو (٧١٩/٢ – ٨٣٩، ٧٤٥ – ٩٦٩)، تأثير المسيحية بالأديان الوضعية (٢٩٩ – ٣٠٧)، الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه (٥٧٣ – ٦٠٥)، محاضرات في النصرانية (٣١ – ٣٩، ١١٣ – ١٣٦)، قصة الديانات (٤٣٠ – ٤٥٧)، موسوعة طقوس الكنيسة القبطية (١٠٦/٢ – ١١٩).

(٣) الكنيسة ومفهومها العام: هي جماعة المؤمنين إيمانًا واحدًا بالله خالقًا وفاديًا وديانًا، وكل أعضائها من إكليريكيين وعوام هم أعضاء جسد المسيح الواحد، تجمعهم شريعة واحدة هي شريعة الإيمان والمحبة والرجاء ومفهومها الخاص هي: هيئة تنظيمية تعبدية، فيها تسلسل الوظائف والمسئوليات والرتب والدرجات لرجالها، ترجع جذورها إلى ربوع العالم اليوناني بعيدًا عن أرض فلسطين التي نشأ فيها المسيح. انظر: مصادر الديانة النصرانية د. عبد الرازق الأرو (٧٢١/٢ – ٧٢٢).

الكنائس النصرانية من مجامع، تولد عنها قرارات أعطت الصورة الحقيقة لمدى تأثير أحبار النصارى ورهبائهم في الديانة النصرانية، خصوصًا إذا علمنا أن أعضاء هذه الكنائس بمجامعها هم خليط من النصارى اليهود، ومن غيرهم من الوثنيين الذين اعتنقوا الديانة النصرانية على يد المبشرين النصارى، ممن تشردوا على أثر الاضطهادات التي نزلت على النصارى في تاريخ حياتهم، فهؤلاء وهؤلاء مع ما أحاط بهم من يأس نظرًا لظروف حياتهم من اضطهاد من قبل الإمبراطوية الرومانية، وأيضًا من قبل اليهود المغتربين في مهاجرهم، الذين قاموا بطرد أتباع يسوع — من يهودي أو أممي — من معابدهم اليهودية، وفي الوقت نفسه يتم إبعاد الوثنيين اليونانيين الذين آمنوا بالنصرانية عن المعابد الوثنية، فتكوّن منهم تجمع تعبدي بدائي تقليدي بسيط، إلى أن جاء بولس الذي شرع في تأسيس جمعيات نصرانية في صورة خلايا سرية يطلق عليه «الكنيسة» وضع على رأس كل جمعية أو خلية سرية مراقبًا أو مشرفًا، أي الأسقف»[1].

فمن هنا يتبين أن البذرة الأولى للكنسية بأحبارها ورهبانها كان على يد خليط من النصارى اليهود والنصارى الوثنيين اليونانيين، ومن ثم بتطوير مبدئي على يد بولس اليهودي، والذي كان له دور لا يخفى في فتح باب التحريف والتبديل في الديانة النصرانية.

علاوةً على ما جرى عقب ذلك على الديانة النصرانية من سيطرة، واستبداد الكنائس برجالها في عهد الإمبراطور الروماني قسطنطين، خاصة حين اعتنق الديانة النصرانية، وأصدر قرارًا ينص على اعتبار النصرانية دينًا، وقيامه بإنشاء مجامع كنسية يرأسها أحبار النصارى ورهبانهم.

وقد قامت هذه المجامع بإصدار قرارات كان لها دور كبير في انحراف عقائد وشرائع الديانة النصرانية بصورة عامة، معتقد وشريعة الغفران بصورة خاصة.

فقيام هذه المجامع يمثل انتقال سلطة التشريع الديني من الوحي الإلهي إلى الآراء البشرية التي

---

(١) انظر: مصادر الديانة النصرانية دراسة ونقدًا (٢/٧٢٣).

غالبًا ما تحكمها المصالح والأهواء والرغبات، لذلك نجد أن جميع القرارات التي صدرت عن هذه المجامع لم تكن تعتمد على نصوص كتابهم المقدس، بل إن جزءًا كبيرًا من كتابهم المقدس لم ينل حظه من التقديس والاعتبار به، إلا بقرار من بعض المجامع نفسها.

فكانت هذه المجامع أول محطة في رحلة النصرانية من التوحيد إلى التثليث، حتى توالت المجامع مولدة عنها قرارات فرضت على الناس بقوة السلطان، مع محاربة أي مخالف لها بالقوة، أو سلطان الحرمان.

هذا وقد قام أحبار النصارى من خلال هذه المجامع بحجب الحق عن الناس، وخطره عليهم، وذلك من خلال السيطرة على التعليم، وحكر تأويل الكتاب المقدس عليهم، وإدانة كل من جاهر بحقيقة تخالف قراراتهم الكنيسة بقرارٍ يقضي بإحراق أي كتاب، أو سفر لا يتوافق مع قراراتهم، وبممارسة شتى أنواع وأساليب القهر والتعذيب على المخالفين، وذلك من خلال «محاكم التفتيش» التي أقيمت لأجل ذلك، والتي تعتبر من أشنع الوصمات في تاريخ البشرية.

فبسبب سطوة الكنيسة، وسيطرتها تدهورت المستويات الأخلاقية، وتفشت حالات الفساد والانحطاط بين رجال الدين.

واستغلوا نفوذهم بفرض ضرائب على رعايا الكنيسة، وقاموا بجمع الأموال بطرق غير مشروعة تحت مظلة الدين، وسوغوا لها بفرض شرائع وعقائد أدرجت تحت غايات ومطالب يسعى إليها الناس، كسعيهم لطلب الغفران، فقد أدرجوا شرائع وطقوسًا ضمن شريعة ومعتقد الغفران، مثل «صكوك الغفران» التي تولدت على إثر أحد قرارات مجامع الكنيسة الغربية، والقاضي بأن الكنسية تملك الغفران، وتمنحه لمن تشاء؛ لتصبح المغفرة بذلك تمنح بصكوكٍ تباع وتشترى.

فبدأ رجال الدين النصراني ببيع تلك الصكوك لكل راغب بالغفران، كما أذاع أحبار النصارى ورهبانهم بأن للكنيسة مكانة أسمى من مكانة الملوك والأباطرة، كما نسبوا العصمة للبابا، وأنه له لسيادة العليا في القضاء والإدارة في جميع الأمور الدينية والدنيوية، وأنه المشرِّع، والمفسر

النهائي للكتاب المقدس، وأنه مالك مفاتيح الرحمة وباب السماء، وأن الكنيسة تسيطر على باب الله، فهي منفذ الرحمة والغفران، وعلى أثر ذلك زادت قوة سيطرة الأحبار والرهبان بزيادة قوة الكنيسة؛ لهذا عمد الأحبار والرهبان إلى زيادة الطقوس المقدسة عددًا، وتنوعت هذه الطقوس، خاصة فيما يتعلق بالغفران، فامتدت يدهم إليها بالحبك والزخرفة؛ لتتدخل في حياة الإنسان، وبعد موته بغرض تحقيق الغفران، ومنحه لمن يطلبه من خلال: طقوس التعميد، العشاء الرباني، الاعتراف، المطهر... وسيتجلى لنا أيضًا إلى أي مدى بلغت صلة أحبار النصارى ورهبانهم بالغفران حين أضع بين يدي القارئ، هذا النص للبابا شنودة الثالث، والتي فيها قد بيّن مدى صلة الأحبار والرهبان المتمثلة بالكنيسة لمن يريد التوبة طلبًا للغفران، فيقول: (الكنيسة لها عمل كبير في توبة كل إنسان، يدخل في نطاقه عمل التعليم والإرشاد، وعمل الرعاية والافتقاد، ونقل أعمال الروح القدس وعطاياه من أجل خلاص كل أحد، ونقل استحقاقات الدم الكريم.

فالكنيسة هي التي تدعو الخطاة إلى التوبة هي التي تقوم بما أسماه بولس الرسول: «خدمة المصالحة» تنادي الخطاة أن «تصالحوا مع الله»[1]، وذلك عن طريق الوعظ والتعليم، وتقديم كلمة الله للناس... وربما لولا عمل الكنيسة هذا ما تاب أحد.

والكنيسة تدعو إلى التوبة في كل ما تقوم به من أعمال الرعاية: بزيارة الناس، وحل مشكلاتهم بكل أنواعها، الروحية والاجتماعية... كأب حنون يهتم بأولاده، ويقربهم إلى أبوه الله.

والكنيسة هي الوسط الروحي الذي يساعد على حياة التوبة، بعيدًا عن أوساط العالم المملوءة بالعثرات، بحيث إن كل من يتوب يجد الكنيسة البيئة الصالحة التي يحيا فيها حياة روحية، وربما لولا الكنيسة، لكان كل شعور روحي ينبت في الإنسان، تخنقه أشواك العالم، فيذبل ويجف.

والكنيسة تقدم للتائب سر الاعتراف، وتمنحه الحل والمغفرة.

وفي سر الاعتراف يشرح التائب كل ما في قلبه، وتستريح نفسه من أسراره المكبوتة، ويقدم

---

(١) العهد الجديد. رسالة الكنيسة كورنثوس الثانية (٥: ١٨ – ٢٠) ص(٤٥٤ – ٤٥٥).

إلى الله كل ضعفاته وسقطاته في سمع الكاهن، لينال عنه حلاً من الله، من فم الكاهن.

وذلك بحكم السلطان الذي قال فيه الرب: «من غفرتم له خطاياه، غفرت له، ومن أمسكتموه عليه أمسكت»[1].

وأيضًا بحكم قوله: «كل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء، وكل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطًا في السماء»[2].

وهكذا يخرج التائب من اعترافه، وقد استراح ضميره.

إذ يكون قد سمع كلمة الحل والمغفرة من وكيل الله، له سلطان أن يقولها، حسب السلطان المعطى له من الله.

وهكذا يملك السلام على قلبه، ويبدأ بدءًا جديدًا.

والكنيسة في سر الاعتراف تعطي الإرشاد الروحي.

حسبما قال الكتاب: إنه من فم الكاهن تطلب الشريعة: «هكذا قال رب الجنود: اسأل الكهنة عن الشريعة»[3]، وهكذا يشرع الأب لابنه في الاعتراف الطريق الروحي السليم الذي يسير فيه، لأنه لا يوجد أحد يستغني عن المشورة، والكتاب يقول: «هناك طريق تبدو للإنسان مستقيمة، وعاقبتها طرق الموت»[4]، كما يقول: «على فهمك لا تعتمد»[5].

وفي الكنيسة يجد التائب القلب الذي يأتمنه على أسراره.

فالأسرار الشخصية الخاصة بحياة الإنسان الروحية، والتي تشمل سقطاته وضعفاته، لا

---

(١) العهد الجديد. إنجيل يوحنا (٢٠: ٢٣) ص(٢٩٦).

(٢) العهد الجديد. إنجيل متى (١٨: ١٨) ص(٥٠).

(٣) العهد القديم. سفر حجي (٢: ١١) ص(١٣٣٨).

(٤) العهد القديم. سفر الأمثال (١٤: ١٢) ص(٩٥١).

(٥) العهد القديم. سفر الأمثال (٣: ٥) ص(٩٣٩).

يستطيع أن يأتمن عليها كل أحد، وربما لا يستطيع كتمانها تمامًا؛ لأن هذا الكبت قد يتعبه. ولكن عند الأب الكاهن يجد ضمان السرية، ويجد الحلول الروحية، ويجد اليد المخلصة التي تقوده في حب وفي إخلاص.

والكنيسة تقدم للتائب كل بركات سر الأفخار ستيا.

هذا السر العظيم الذي قال عنه الرب «من يأكل جسدي، ويشرب دمي، يثبت فيّ، وأنا فيه»[1]، و«يحيا بي»[2].

وخارج الكنيسة لا يجد بركة هذا السر العظيم، هذا السر العظيم الذي يعينه في توبته، ويغذيه روحيًا، والذي «يعطي عنا خلاصًا، وغفرانًا للخطايا، وحياة أبدية لكل من يتناول منه»[3].

ولكن لعل إنسانًا يقول: ما دامت التوبة تؤدى إلى المغفرة، فما حاجتي إلى الكنيسة، وإلى الاعتراف والتناول والتحليل؟ فنجيبه:

بالتوبة تستحق المغفرة، وبالاعتراف والتناول تنالها)[4].

لقد تبين من خلال العرض السابق لتاريخ الكنيسة، ومدى تأثير الأحبار والرهبان على طلب الغفران في الديانة النصرانية، ومن خلال كلام البابا شنودة الثالث فيما يتعلق بالتوبة والغفران، ودور الكنيسة في ذلك أن الصلة بين الغفران وأحبار النصارى ورهبانهم صلةٌ وثيقة منذ قرون طويلة، وما زالت حتى عصرنا الحاضر، فالأحبار وضعوا وسائط عظمى[5] لطلب ونيل

(١) العهد الجديد. إنجيل يوحنا (٦: ٥٦) ص(٢٥١).

(٢) العهد الجديد. إنجيل يوحنا (٦: ٥٧) ص(٢٥١).

(٣) العهد الجديد. إنجيل يوحنا (٦: ٥٤) ص(٢٥١).

(٤) حياة التوبة والنقاوة ص(٣٠ – ٣٢).

(٥) وسائط عظمى ابتدعها أحبار النصارى ووضعوها أمام كل طالب للغفران من معتنقي الديانة النصرانية وهي في الحقيقة شركيات تحقق لهؤلاء الأحبار النصارى المكاسب المادية والمكانة الاجتماعية.

الغفران من خلال ما زعموه وابتدعوه ابتداءً من عقيدة «الصلب والفداء»، ومن خلال الوسائط المنظورة العملية التي سوف نستعرضها -بأذن الله- في فصل وسائل طلب الغفران عند النصارى والتي وضعوها لأجل نيل الغفران من خلالهم حسب ما أذاعوه عن أنفسهم من كونهم هم المسيطرون على باب الله، وهم منفذ الرحمة وطقوس الغفران، وشرائعه عامة لا تقام، ولا تتم إلا ببركة رجال الدين في الكنيسة[1].

(١) للاستزادة. انظر: اليهودية أحمد شلبي (٨١ – ٩٣)، أثر الكنيسة على الفكر الأوربي. أحمد علي عجيبة، دار الآفاق العربية. القاهرة (ط١) ٢٠٠٤م ص(٥ – ٨، ١٤ – ١٧، ٧٧)، مقارنة الأديان للخطيب (٢٨٦ – ٣٠٠)، مصادر الديانة النصرانية للارو (٧١٩/٢ – ٨٣٩، ٧٤٥ – ٩٦٩)، تأثير المسيحية بالأديان الوضعية (٢٩٩ – ٣٠٧)، الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه (٥٧٣ – ٦٠٥)، محاضرات في النصرانية (٣١ – ٣٩، ١١٣ – ١٣٦)، قصة الديانات (٤٣٠ – ٤٥٧)، موسوعة طقوس الكنيسة القبطية (١٠٦/٢ – ١١٩).

الفصل الثاني

دوافع طلب الغفران عند النصارى

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الوقوع في الخطيئة.

المبحث الثاني: التقصير في العبادات.

المبحث الثالث: الترغيب والترهيب.

المبحث الأول
الوقوع في الخطيئة

إن من أول دوافع طلب الغفران في الديانة النصرانية هو وقوع المؤمن في الخطيئة، والخطيئة لدى النصارى ظاهرة في تاريخ البشر، يقر بها كل إنسان يفحص قلبه، أو ينظر إلى سيرة أبناء جنسه، لأن جميع البشر يقرون بنقصهم وعجزهم عن القيام بما كلفوا به أدبيًا[1].

أولاً: المراد بالخطيئة:

قيل: هي التعدي على شريعة الله وأحكامه، أو عدم الامتثال لشريعة لله، فهي الشر الفاضح، والانحراف عن الله إلى الشر، والانفصال عن الخير، وهي جرمٌ؛ لأنها في حق الله، مهما كان عذر مرتكبها، وأيًا كان حجمها[2]. «من خطئ عمل شرًا؛ لأن الخطيئة شر»[3]، «كل معصية خطيئة»[4]، «فالبشر كلهم خطئوا»[5].

وقيل: هي عدم إصابة الهدف المطلوب منا؛ فالهدف الذي كان مطلوبًا منا أن نصيبه

---

(١) انظر: الخطيئة والكفارة في الإسلام والمسيحية (١٥).

(٢) قاموس الكتاب المقدس (١/٣٤٤) وللاستزادة انظر: الخطيئة والكفارة (١٥)، حتمية الكفارة (٥)، العدالة الإلهية (٧٩ – ٨٠)، الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه (١٧١)، الذنب والمغفرة (٨).

(٣) العهد الجديد. رسالة يوحنا الأولى (٣: ٤) ص(٦٠٣).

(٤) العهد الجديد. رسالة يوحنا الأولى (٥: ١٧) ص(٦١٠).

(٥) العهد الجديد. رسالة كنيسة رومية (٣: ٢٣) ص(٣٨٨).

فأخطأناه، فهو مجد الله، فالله خلق الإنسان لمجده، كما قال الرب: «بكل من دعي باسمي، ولمجدي خلقته، وجبلته، وصنعته» [1]، فكان ينبغي لنا إذ عرفنا الله ن نمجده، يقول الرب: «عرفوا الله فما مجّدوه ولا شكروه كإله، بل زاغت عقولهم، وملأ الظلام قلوبهم الغبية» [2]، لكن هذا لم يحدث: «فالبشر كلهم خطئوا، وحرموا مجد الله» [3][4].

وقيل: هي أي موقف من مواقف عدم اللامبالاة، أو عدم الإيمان، أو العصيان لإرادة الله المعلنة في الضمير، أو في الناموس، أو في الإنجيل، سواء ظهر هذا الموقف في الفكر، أو في القول، أو في الفعل، أو الاتجاه، أو السلوك [5].

إن جميع التعاريف السابقة خلصت على أن المراد بالخطيئة مخالفة شريعة الله الواردة في العهد القديم، أو الجديد، بالفعل أو الترك، سواء كانت هذه المخالفة في الفكر، أو القول، أو الفعل، أو الاتجاه، أو السلوك فهي خطيئة.

ثانيًا: أقسام الخطايا:

١- أصيلة: وهي التي دخلت إلى حياة الإنسان عن طريق خطيئة آدم وحواء، ومن ثمَ سيطرت على الجنس البشري كله، كما هو مكتوب: «هأنذا بالإثم صورت، وبالخطيئة حبلت بي أمي» [6]، ويراد بها في علم اللاهوت النظامي بأن الخطيئة الأصلية أي: فساد الطبيعة المأخوذة من من آدم — عليه السلام – [7].

---

(١) العهد القديم. سفر اشعيا (٤٣: ٧) ص(١٠٤٤).

(٢) العهد الجديد. رسالة الكنيسة رومية (١: ٢١) ص(٣٨٤).

(٣) العهد الجديد. رسالة الكنيسة رومية (٣: ٢٣) ص(٣٨٨).

(٤) ثلاث حقائق أساسية في الإيمان المسيحي (٩١).

(٥) عقيدة الخلاص في الديانة النصرانية (٩٥).

(٦) العهد القديم. سفر المزامير (٥١: ٥) ص(٨٦٨).

(٧) الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه (١٧٤).

٢ – فعلية: هي المعصية التي تصدر من الإنسان من تلقاء نفسه، أي أنها أفعال الشخص الصادرة عن أطباعه الفاسدة، وهي المعصية المرتكبة قصدًا وعمدًا، وهي تقوم بعدم طاعة الأخلاقيات القلبية، وبارتكاب الشرور فعلاً[(١)].

وقد تحدث العهد الجديد عن الخطيئة وطبيعتها، فقال: «كل ما ليس من الإيمان فهو خطيئة»[(٢)]، وقال أيضًا: «كل من يفعل الخطيئة يفعل التعدي أيضًا، والخطيئة هي التعدي»[(٣)].

التعدي»[(٣)].

وتنقسم الخطايا الفعلية في العهد الجديد إلى ثلاثة أقسام، وهي كالآتي[(٤)]:

أولاً: الخطايا الرئيسة:

سميت بهذا الاسم لأنها تدفعنا إلى خطايا أكبر، وبتكرارها تتولد الرذيلة، وتعتبر الخطايا الرئيسة سببًا لكثير من أنواع الخطايا الأخرى، والخطايا الرئيسة هي سبعة:

١ – الكبرياء: وهو العظمة، والتجبر، والترفع عن الانقياد، فهي ضد التواضع، ويشدد العهد الجديد على شناعة الكبرياء التي تأبى الاعتماد على الله، والخضوع له، وتنسب لنفسها الفضل، ويعتبرها الكتاب المقدس أساس الخطيئة، وهي «أم الخطايا لأنها نابعة من محبة الذات»[(٥)].

وقد بين العهد الجديد الموقف الذي اتخذه الله من الكبر والمتكبرين، حيث إن الله يبغض الكبر ويلعن المتكبر، يقول العهد الجديد: «وكونوا جميعًا خاضعين بعضكم لبعض، وتسربلوا

---

(١) الذنب والمغفرة في ضوء القرآن والعهد الجديد (٥٩)، وللاستزادة انظر الخلاص المسيحي (١٧٤).

(٢) العهد الجديد. رسالة إلى كنيسة رومية (١٤: ٢٣) ص(٤٠٩).

(٣) العهد الجديد. رسالة يوحنا الأولى (٣: ٤) ص(٦٠٣).

(٤) انظر: الذنب والمغفرة في القرآن الكريم والعهد الجديد (٦١ – ٧٥)، وللاستزادة انظر خطيئة الشهوة (١٢ – ٤٢).

(٥) انظر: موسوعة الطقوس الكنيسة القبطية (٤/٦).

بالتواضع؛ لأن الله يرد المتكبرين، وينعم على المتواضعين»[1].

وقال أيضًا: «أنتم تبررون أنفسكم عند الناس، لكن الله يعرف ما في قلوبكم إن المستعلي عند الناس رجس عند الله»[2].

٢ – الغضب: هو السخط، وهو الاستجابة لانفعال يتميز بالميل إلى الاعتداء، فهو ضد الرضى.

وقد نبه العهد الجديد على سوء هذه الخطيئة، وبيّن أن الله تعالى يشجب رد فعل الإنسان العنيف عندما يستشيط غيظًا ضد آخر، فهذا الغضب يقوده عادة إلى الظلم، يقول العهد الجديد: «ليكن كل إنسان مسرعًا في الاستماع، مبطئًا في التكلم، مبطئًا في الغضب؛ لأن غضب الإنسان لا يضع بر الله»[3].

٣ – الحسد: وهو الشعور بالرغبة في ميزات الآخرين، أو حالتهم، أو منزلتهم، أو قدراتهم ومواهبهم، أو منصبهم، وهو عدم الرضى والشعور الخبيث نحو الآخرين؛ لأنهم يمتلكون ما لا يمتلكه، ويتمنى أن يتحول ما لديهم من نعمة، أو أن يُسلبوها.

وقد حذر العهد الجديد من الحسد، فقال عنه: «حسدٌ، قتلٌ، وسكرٌ، وأمثال هذه التي أسبق فأقول لكم عنها كما سبقت فقلت أيضًا: إن الذين يفعلون مثل هذه لا يرثون ملكوت الله»[4].

٤ – الشراهة: وهي الجموع والتطرف، والشعور برغبة غير منتظمة في استهلاك الأشياء أكثر مما يتطلب فرد آخر، وهي اللذة المبالغ فيها بالآكل، وقد انتقد الرسول بولس بشدة أولئك

---

(١) العهد الجديد. رسالة بطرس الأولى (٥: ٥) ص(٥٩٠).

(٢) العهد الجديد. إنجيل لوقا (١٦: ١٥) ص(٢٠٠).

(٣) العهد الجديد. رسالة القديس يعقوب (١: ١٩ – ٢٠) ص(٥٧٤).

(٤) العهد الجديد. رسالة إلى كنيسة غلاطية (٥: ٢١) ص(٤٧٨).

الذين يقعون في خطيئة الشراهة، فقال: «الذين نهايتهم الهلاك الذين إلههم بطنهم ومجدهم في خزيهم الذي يفتكرون في الأرضيات»[١].

٥ – الكسل: وهو تجنب، أو إلغاء، أو إبطال العمل الطبيعي الدنيوي، أو العمل الروحي الديني.

وقد حذر العهد الجديد من الوقوع في خطيئة الكسل لبشاعة الخطايا التي تنتج عنها، فقد ورد في إنجيل متى في قصة العبد مع سيده، إذ إنه أهمل وعاش عاطلاً، ليس فقط لم يربح، وإنما خسر ما لديه، وسقط في خطيئة أخرى، وهي اتهام سيدة بالقسوة والظلم، إذ يقول له: «ياسيد عرفت أنك إنسان قاس، تحصد حيث لم تزرع، وتجمع من لم تبذر، فخفت ومضيت، وأخفيت وزنتك في الأرض»[٢] فإن حياة الكسل والبطالة لهذا العبد دفعته لاتهام سيده بالقسوة، وهذا دفعه للخوف، فكل خطيئة تسلمه للأخرى.

٦ – الطمع: وهو الرغبة في الماديات، والثروات، والوفرة في كل شيء، أو الكسب المادي الذي يهمل ويرفض، ويتجاهل عالم الدين، وهو يعرف بالجشع أو البخل أو الاشتهاء.

يقول المسيح: «لا يقدر أحد أن يخدم سيدين؛ لأنه إما أن يبغض الواحد، ويحب الآخر، أو يلازم الواحد، ويحتقر الآخر، لا تقدرون أن تخدموا الله والمال»[٣].

٧ – النجاسة: وهي عدم الطهارة، وتشمل كل أنواع الشذوذ الجنسي، وقد بين العهد الجديد أن النجاسة هي واحدة من الخطايا السبعة، وقد ذكرها بين عدد من الخطايا الأخرى، فقال: «وأعمال الجسد ظاهرة، التي هي: زنى عهارة، نجاسة دعارة»[٤].

---

(١) العهد الجديد. رسالة بولس إلى كنيسة فيلبي (٣: ١٩) ص(٤٩٨).

(٢) العهد الجديد. إنجيل متى (٢٥: ٢٤ – ٢٥) ص(٧١).

(٣) العهد الجديد. إنجيل متى (٦: ٢٤) ص(١٦).

(٤) العهد الجديد. رسالة بولس إلى كنيسة غلاطية (٥: ١٩) ص(٤٧٨).

ثانيًا: الخطايا المميتة:

هي الخطايا التي تقتل النعمة في النفس، وتتطلب تبريرًا جديدًا بواسطة سر التوبة[1].

فهي خطيئة تقضي على المحبة في قلب الإنسان، وتبعده عن الله، وهي بدون الندامة تسبب الموت الأبدي، وتسمى خطيئة مميتة؛ لأنها تستوجب الاعتراف حسب حكم عام في الكنيسة في زمن معين.

وحتى تكون خطيئة مميتة، لابد من تلازم ثلاثة شروط:

١ – أن تكون مادة الخطيئة ثقيلة، وتوضحها وصايا المسيح.

٢ – أن يرتكبها الإنسان بكامل وعيه، واختياره ورضاه، وسابق علمه بأنها خطيئة، ومخالفة لشريعة الله.

٣ – أن يرتكبها بقصد صادر عن روية.

الخطايا المميتة هي:

١ – الزنى، وهذه الخطيئة من أخطر وأبشع الخطايا التي ذكرت في العهد الجديد، حيث يقول: «اهربوا من الزنا، كل خطيئة يفعلها الإنسان هي خارجة عن الجسد، لكن الذي يزني يخطئ إلى جسده»[2].

٢ – القتل: وهو القضاء على حياة إنسان، وقد بين العهد الجديد أن القتل من الخطايا الخطيرة في حياة البشرية، فقال: «لأن من القلب تخرج أفكار شريرة: قتل، زنى، فسق، سرقة،

---

(١) سر التوبة هو أحد وسائل الغفران لدى النصارى يُعرف بسر التوبة والاعتراف سيأتي الحديث عنه في مبحث وسائل الغفران عند النصارى – بإذن الله –.

(٢) العهد الجديد. رسالة بولس الأولى لكنيسة كورنثوس (٦: ١٨) ص(٤٢٣).

شهادة زور، تجديف»[1]، وقال المسيح: «لا تقتل...»[2].

٣ – السرقة: وهي أخذ مال الغير في خفاء، أو بالخداع والحيلة، وتحدث السرقة في الخفاء دون علم صاحب المال، وقد توعد العهد الجديد السراق بالإدانة الشديدة، حيث قال: «ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون؛ لأنكم تأكلون بيوت الأرامل»[3]. وحذر السيد المسيح من الوقوع في هذه الخطيئة، فقال: «لا تسرق»[4].

٤ – شهادة الزور: ويقصد به الكذب، والكذب دناءة، وهو دليل على الخوف، وعلى ضعف الشخصية.

وقد دعا السيد المسيح إلى الامتناع عن الكذب، وشهادة الزور، فقال: «لا تشهد بالزور»[5].

وقال في موضع آخر: «لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد بالزور، أكرم أباك وأمك، وأحب قريبك كنفسك»[6].

٥ – التجديف على الروح القدس: التجديف على الله هو التوجه إليه بالشتيمة والإهانة، والكلام غير اللائق، أما التجديف على الروح القدس، فهو الرفض الكامل الدائم لكل عمل الروح القدس في القلب، رفض يستمر مدى الحياة، ونتيجة لهذا الرفض، لا يتوب الإنسان، فلا يغفر الله له.

---

(١) العهد الجديد. إنجيل متى (١٥: ١٩) ص(٤٢).

(٢) العهد الجديد. إنجيل متى (١٩: ١٨) ص(٥٣).

(٣) العهد الجديد. إنجيل متى (٢٣: ١٤) ص(٦٤).

(٤) العهد الجديد. إنجيل متى (١٩: ١٨) ص(٥٣).

(٥) العهد الجديد. رسالة كنيسة رومية (١٣: ٩) ص(٤٠٧).

(٦) العهد الجديد. إنجيل متى (١٩: ١٨ – ١٩) ص(٥٣).

يقول العهد الجديد مبرزًا خطيئة التجديف بين الخطايا الأخرى: «لأن من القلب تخرج أفكار شريرة: قتل، زنى، فسق، سرقة، شهادة زور، تجديف»[١]، وحذر من مقاومة عمل روح القدس فقال: «يا قساة الرقاب، وغير المختونين بالقلوب والآذان، أنتم دائمًا تقاومون الروح القدس»[٢].

وقال: «كل خطيئة وتجديف يغفر للناس، وأما التجديف على الروح، فلن يغفر للناس»[٣].

٦ – **عبادة الأوثان**: وهي عبادة المخلوق بدلاً من الخالق، وقد ورد في العهد الجديد ما يحرم عبادة الأوثان، فقال: «عبادة الأوثان المحرمة»[٤]، وقال أيضًا: «وأعمال الجسد ظاهرة التي هي: زنى، عهارة، نجاسة، دعارة، عبادة أوثان... إن الذين يفعلون مثل هذا لا يرثون ملكوت الله»[٥].

٧ – **السكر**: والمقصود بخطيئة السكر في العهد الجديد هو شرب الخمر إلى درجة فقدان العقل، أما شربه بما لا يفقد العقل فهو غير محرم، ولا يعد خطيئة، بل ويستخدم الخمر في الديانة النصرانية في طقس العشاء الرباني – أحد وسائل الغفران –.

فيقول العهد الجديد محذرًا من شرب الخمر لحد السكر: «لنسلك بلياقة كما في النهار، لا بالبطر والسكر، لا بالمضاجع والعهر، لا بالخصام والحسد»[٦].

---

(١) العهد الجديد. إنجيل متى (١٥: ١٩) ص(٤٢).

(٢) العهد الجديد. أعمال الرسل (٧: ٥١) ص(٣٢٠).

(٣) العهد الجديد. إنجيل متى (١٢: ٣١) ص(٣٢).

(٤) العهد الجديد. رسالة بطرس (٤: ٣) ص(٥٨٨).

(٥) العهد الجديد. رسالة لكنيسة غلاطية (٥: ١٩ – ٢١) ص(٤٧٨).

(٦) العهد الجديد. رسالة رومية (١٣: ١٣) ص(٤٠٧).

وقال أيضًا: «حسد، قتل، سكر، بطر، وأمثال هذه... لا يرثون ملكوت الله»[1].

٨ – السحر: وهو أن يدعي الساحر لنفسه القدرة فوق الطبيعة، أو معرفة الغيب بطرق مختلفة.

ورد في العهد الجديد التحذير من السحر، فقال: «وأعمال الجسد ظاهرة... عبادة الأوثان سحرٌ»[2].

٩ – الغش: وهو الكذب، والخداع، والمكر.

وقد نبه العهد الجديد على عدم الغش والمكر وخداع الناس، فقال: «فليكفف لسانه عن الشر، وشفتيه أن تتكلما بالمكر»[3].

وقال أيضًا موبخًا من غَشَ: «ياحنانيا لماذ ملأ الشيطان قلبك لتكذب على الروح القدس، وتختلس من ثمن الحقل؟... أنت لم تكذب على الناس، بل على الله»[4].

ثالثًا: الخطيئة العرضية:

هي الخطيئة التي تجرح المحبة، وتسيء إليها، ولكن تبقى المحبة في قلب الإنسان، ويخطئ الإنسان خطيئة عرضية عندما يخالف الشريعة الأخلاقية بدون معرفة كاملة، أو رضى تام، وهي تعلق منحرف بالخيرات المادية، وتكون مادتها خفيفة لا تخالف وصايا يسوع المسيح، كذلك لا تقطع العهد مع الله، وهي قابلة للإصلاح بنعمة الله.

فهي تتمثل في جانب التقصير بواجبات الحب الأخوي، وذلك بأن لا يقوم بواجبات الحب الأخوي تجاه إخوانه، وما ذلك إلا لضعف إيمانه، لهذا ليس من الواجب في الخطيئة العرضية

---

(١) العهد الجديد. رسالة الكنيسة غلاطية (٥: ٢١) ص(٤٧٨).

(٢) العهد الجديد. رسالة الكنيسة غلاطية (٥: ٢٠) ص(٤٧٨).

(٣) العهد الجديد. رسالة القديس بطرس الأولى (٣: ١٠) ص(٥٨٣).

(٤) العهد الجديد. أعمال الرسل (٥: ٣ – ٤) ص(٣١٢).

الاعتراف بها، كما في الخطيئة المميتة، والخطايا العرضية كثيرة جدًا، لا مجال لحصرها، إذ إنها تشمل خطايا النظر، والسمع، واللسان كالكلمات القاسية، والضحك الذي يتجاوز الحد، وكذلك تشمل خطايا الفكر.

المبحث الثاني
التقصير في العبادات

الديانة النصرانية كأي ديانة أخرى من الديانات تشتمل على عقائد، وشرائع لابد لمن آمن بها أن يؤمن بعقائدها، ويعمل بشرائعها، وهما في مجموعهما العبادات التي لابد أن يأتي بها كل من آمن بالنصرانية.

وحين يقصر المؤمن في أداء أحد هذه العبادات، أما بالتسويف في أدائها، أو أداها على غير الوجه المطلوب، أو تركها لمدة من الزمن، أو بالإنقاص في أحد واجباتها، أو بأي طريقة تدخل في باب التقصير في أدائها؛ فإنه في هذه الحالة، لابد من محاسبة النفس، والمبادرة إلى سد النقص، وجبر هذا التقصير الذي لحق هذه العبادات، وفي الوقت نفسه طلب الغفران من الله عما بدر من تقصير في أداء هذه العبادات، وليس هناك أحد من المؤمنين معصوم من التقصير في ما يؤديه من عبادات.

وقد أكد القس شنودة ماهر إسحق ذلك حين قال: (مهما بلغ المؤمنون من التقدم في حياة الفضيلة والتقوى، ومهما ارتفعت درجاتهم في حياة البر والقداسة، فإن لهم ضعفاتهم وتقصيراتهم، فطالما كانوا تحت ثقل الجسد، فلابد أن لهم هفوات وسهوات، وخطايا قد تكون

مستترة، وخافية عليهم، فإذا ظلت كذلك، فلا يشعرون بها، ولا يقدمون عنها توبة، فتظل محسوبة عليهم عند موتهم، ويكونون في حاجة إلى نوال الغفران عنها برحمة ربنا يسوع المسيح عند مجيئه الثاني لخلاص منتظريه) [1].

ويُعد التقصير في العبادات في الديانة النصرانية خطيئة تستوجب على المؤمن أن يطلب من الرب الغفران عنها.

وتُعرف خطيئة التقصير في الديانة النصرانية بـ **«خطيئة الترك»**، ويراد بها: هي إهمال ما تفرضه شريعة الله[2].

كذلك تُعرف بـ **«خطيئة إهمال»** ويراد بذلك: التخلف عن القيام بطاعة أوامر الله[3].

وطلب الغفران عن التقصير في العبادات يُعرف بـ **«التوبة عن النقائص»**، يقول البابا شنودة الثالث عن هذه التوبة: (هناك توبة عن النقائص، الخاصة بالنمو الروحي، فالمفروض في التائب أن يصنع ثمارًا تليق بالتوبة: **«أثمر، واثمرأ، يبرهن على توبتكم»** [4]، وبهذا يدخل في ثمار الروح: «أما ثمر الروح فهو المحبة، والفرح، والسلام، والصبر، واللطف، والصلاح، والأمانة، والوادعة، والعفاف، وما من شريعة تنهى عن هذه الأشياء» [5].

فإن كان لا يأتي بثمر، فهو محتاج إلى توبة.

إلى توبة عن خطيئة عدم الإثمار؛ لأن الكتاب يقول: «من يعرف أن يعمل حسنًا ولا

---

(١) حالة أرواح الراقدين وفائدة الصلاة من أجلهم ص(٨٧).

(٢) قاموس الكتاب المقدس (١/٣٤٤).

(٣) المسيح في الأعياد اليهودية (١٦٤).

(٤) العهد الجديد. إنجيل متى (٣: ٨) ص(٦).

(٥) العهد الجديد. رسالة كنيسة غلاطية (٥: ٢٢) ص(٤٧٨).

يعمل، فتلك خطيئة له»[1].

فالتوبة إذن ليست مرحلة وتنتهي، إنما تستمر معنا؛ لأنه ليس أحد بلا خطيئة، ولو كانت حياته يومًا واحدًا على الأرض، فكلنا نخطئ، ونحتاج إلى توبة، وهكذا تصير التوبة بالنسبة إلينا عملاً يوميًا؛ لأننا في كل يوم نخطئ، و«إن قلنا إننا لم نخطئ، نضل أنفسنا، وليس الحق فينا»[2])[3].

ويعتبر النصارى أن التقصير في العبادات من الطرق الخادعة التي توهم المؤمن بأنه على استقامة، وفي الحقيقة هو مقصر قد يرد بذلك لطريق الهلاك، يقول القمص زكريا بطرس في بيانه لهذا الطريق الموهم بالاستقامة، وهو في الحقيقة مقصر: («الطريق الخادع» هذا الطريق هو أخطر بكثير من الطريق الواسع – طريق العصيان –... كالصديق الخائن الذي قال عنه أحد الحكماء: (أنقذوني من أصدقائي، أما أعدائي فأنا كفيل بهم).

هناك أناس كثيرون يتحفظون لأنفسهم من الطريق الواسع، ولكنهم يسقطون ضحية الطريق الخادع.

وخطورة هذا الطريق أن له مظهر الطريق الصالح، ولكنه يخفي بين طياته مهالك الطريق الواسع... ولذلك فهو يخدع البسطاء بمظهره... أما المراءون فيجدون فيه الطريق الشرعي لما يجب أن تكون عليه الحياة... إنه طريق الشعارات الغاشة الخادعة...

ومن مظاهر هذا الطريق هي:

أولاً: التدين السطحي، وهو الاكتفاء بممارسة وسائط النعمة من صوم، وصلاة، وصدقة... يؤديها دون أن تتماس مع كيانه الداخلي، يمارسونها بغير وعي قلبي، بدون شركة سرية

---

(١) العهد الجديد. رسالة القديس يعقوب (٤: ١٧) ص(٥٧٩).

(٢) العهد الجديد. رسالة يوحنا الأولى (١: ٨) ص(٥٩٩).

(٣) حياة التوبة والنقاوة ص(١٥ – ١٦).

مع الرب، يمارسها ليس على اعتبار أنها مجرد وسائل تسري من خلالها نعمة الرب، فتضفي على حياته بجملتها مسحة مقدسة، بل يمارسها على أنها فرائض واجبة ينتهي مفعولها بمجرد الانتهاء من أدائها؛ لذلك فهو لا يرى مانعًا بعد أداء هذه الفرائض من مشاركة أهل العالم في أسلوب معيشتهم من حفلات.. وخمر.. وقمار... إلخ.

ثانيًا: الأدب الخلقي، وهو مجرد التحلي بحميد الصفات والخصال، ويكتفي الفرد بأنه: إنسان مؤدب، ذو أخلاق سامية، محب، باذل، ذو عواطف رقيقة... ووجه الخطورة في هذا الأمر أنه لا يشعر باحتياجه إلى شيء، فهو على أفضل ما يكون من الأخلاق.

فهو إنسان يشعر أنه غني بما عنده من حميد الأخلاق، وأعمال الخير..

فلا يشعر باحتياجه إلى شيء آخر... مسكين هذا الإنسان، فهو محتاج لأن يعرف أن المسيحية ليست مجرد التخلي عن الرذائل، أو التحلي بحميد الفضائل، إنما هي سكن الرب في الداخل) [1].

أيضًا يؤكد عوض سمعان في كتابه فلسفة الغفران في المسيحية على أن من دوافع طلب الغفران ليس الوقوع في الشر فقط، وإنما أيضًا من دوافع طلب الغفران التقصير في عمل الخير، فيقول عن ذلك: (التقصير في عمل الخير، فبما أن الله قدوس يكره الشر، هو أيضًا صالح يحب الخير، لذلك فمن أراد أن يحيا حياة التوافق مع الله، أو بالأحرى حياة البعد عن الخطيئة، يجب أن لا يمتنع عن الشر فحسب، بل وأن يفعل الخير أيضًا، ولا مجال للاعتراض على ذلك، لأن من لا يعطف على الفقير أو يمتنع عن مساعدة المسكين، يكون بعيدًا عن الله، ومن ثم يكون خاطئًا، حتى إذا لم يفعل شرًا من الشرور... لذلك قال الوحي لنا: «من يعرف أن يعمل حسنًا ولا يعمل، فذلك خطيئة له» [2]، كما قال: «اعملوا الخير مع الجميع» [3]» [1].

---

(١) الطريق الروحي القمص زكريا بطرس (٢١ – ٢٤).

(٢) العهد الجديد. رسالة القديس يعقوب (٤: ١٧) ص(٥٧٩).

(٣) العهد الجديد. رسالة الكنيسة غلاطية (٦: ١٠) ص(٤٧٩).

أيضًا يؤكد القمص مرقس عزيز خليل على أن طلب الغفران من التقصير في العبادات، هو عملية إكمال منا لما ورد عليه النقص في حق العبادات التي طلبها منا الرب، فيقول عن ذلك: (الله يدعونا إلى القداسة ليكمل لنا القداسة فيقول الرب: «وهذه هي إرادة الله قداستكم؛ لأن الله لم يدعونا للنجاسة، بل للقداسة)[2]، ويقول أيضًا: (فإذا لنا هذه المواعيد (الإلهية) أيها الأحباء لنطهر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح، مكملين القداسة في خوف الله» [3]»[4].

المبحث الثالث

الترغيب والترهيب

يرى النصارى إن من دوافع طلب الغفران في الديانة النصرانية «الترغيب والترهيب»، وقد جاء ترغيب المؤمنين من النصارى بطلب الغفران من خلال التأكيد على أن التوبة طلب للغفران من أبرز صفات المؤمنين إيمانًا حقيقيًا بعيسى – عليه السلام –، الحريصين على نيل أثر فدائه لهم عن خطيئة أبيهم آدم – عليه السلام –.

كذلك ببيان ما يترتب على من ينال الغفران من تطهير للخطايا، ومحو للآثام، وبغض للشرور، ورجوع إلى الله والدخول في ملكوته السماوي، والارتقاء والسمو، والسلامة من القلق، ومن عذاب الضمير، ومن اللعنات والأمراض... ليحيا حياة أرضية يملؤها السلام والسكينة والراحة والسعادة، ويعقبها الحياة الأبدية في الدنيونة؛ ليدخل الحياة السماوية بسلام، فينعم بالسلام، والنعيم في ملكوت الله.

كذلك كان الترهيب من الوقوع في الخطيئة، وترك التوبة عنها من دوافع طلب الغفران،

---

(١) غفران الذنوب فلسفة الغفران في المسيحية ص(١٠ – ١١)، وللاستزادة انظر: عقيدة الخلاص في الديانة المسيحية (٩٦).

(٢) العهد الجديد. رسالة بولس الأولى لكنسية تسالونيكي (٤: ٣، ٧) ص(٥١٤).

(٣) العهد الجديد. رسالة بولس الثانية لكنيسة كورنثوس (٧: ١) ص(٤٥٦).

(٤) التوبة والاعتراف. القمص مرقس عزيز خليل، كنيسة القديسة مريم العذراء. الكنيسة المعلقة ص(١٩ – ٢٠).

وذلك ببيان أثر الخطيئة على الخاطئ في الحياة الدنيوية من قلق، ومرض، ولعنات، ومقت من أهل السماء، والأرض، وفقر، وهلاك... وببيان ما ينتظره في الحياة الأخروية من العذاب في الجحيم، والعذاب في بحيرة النار والكبريت.

وقد جاءت الكتب المقدسة، وكتب الأحبار والرهبان عامرة بنصوص الترغيب بالغفران، والترهيب من الخطايا تحفيزًا للخطاة لطلب الغفران، ومبادرة خطاياهم بالتوبة ليتحقق لهم الخلاص من خطاياهم، ونيل الغفران، وما يترتب عليه من عواقب حميدة في الدنيا والآخرة.

فمن نصوص الترغيب بالغفران: «أنا الآن أرسلك إليهم لتفتح عيونهم، كي يرجعوا من ظلمات إلى نور، ومن سلطان الشيطان إلى الله، حتى ينالوا بالإيمان بي غفران الخطايا»[(١)].

- الترغيب بمحبة الله، فهو تعالى يريد لهم الخلاص، ولا يشاء لهم الهلاك، فيقول: «يريد أن الجميع يخلصون»[(٢)]، «من أراد أن يحب الحياة، ويرى أيامًا سعيدة فليمسك لسانه عن الشر، وشفتيه عن المكر في الكلام، وليبتعد عن الشر، ويعمل الخير، ويطلب السلام، ويسعى إليه؛ لأن عين الرب على الأبرار، وأذنه تصغي إلى دعائهم، أما وجهه فيميل عن الذين يعملون الشر»[(٣)].

- وبمسرة الرب برجوع العبد الخاطئ وتوبته فيقول عن ذلك: «هل مسرة أسر بموت الشرير... إلا برجوعه.. فيحيا»[(٤)].

- بتحقيق الاشتراك في ملكوت الله، ويمتع صاحبه بمحبة الرب، ومحو خطاياه، والصفح عنها فيقول: «توبوا وارجعوا، لتمحى خطاياكم»[(٥)]، «ارجعوا إليّ، أرجع إليكم»[(٦)]، وقال:

---

(١) العهد الجديد. أعمال الرسل (٢٦: ١٧ - ١٨) ص(٣٧٢).

(٢) العهد الجديد. رسالة بولس للقديس تيطس (٢: ٤) ص(٥٤١).

(٣) العهد الجديد. القديس بطرس الأول (٣: ١٠ - ١٢) ص(٥٨٧).

(٤) العهد القديم. سفر حزقيال (١٨: ٣) ص(١٢٠١).

(٥) العهد الجديد. أعمال الرسل (٣: ١٩) ص(٣٠٨).

(٦) العهد القديم. سفر ملاخي (٣: ٧) ص(١٣٥٧).

«أجعل شريعتي في داخلهم، وأكتبها على قلوبهم، وأكون لهم إلهًا، وهم يكونون لي شعبًا، أصفح عن إثمهم، ولا أذكر خطيتهم بعد» [1].

- وبالوعد بالتطهير، وغسل الذنوب، ومنع قلوبٍ جديدة، فيقول عن ذلك: «أرش عليكم ماءً طاهرًا، فتطهرون من كل نجاساتكم، ومن كل أصنامكم أطهركم، وأعطيكم قلبًا جديدًا» [2].

- وبمنح الحياة فيقول: «أعطى الله الأمم التوبة للحياة» [3].

- وبالراحة وحمل الأثقال عنهم، فقال: «تعالوا إليّ يا جميع المتعبين، والثقيلي الأحمال، وأنا أريحكم» [4].

ومن نصوص الترهيب من الوقوع في الخطايا، وعدم المبادرة بالتوبة، ما جاء في ترهيبهم من اللعن فيقول: «ملعون من لا يثابر على العمل بكل ما جاء في كتاب الشريعة» [5].

- أيضًا الترهيب من الموت الروحي؛ لأن الخطيئة انفصال الروح عن الله «أجرة الخطيئة هي الموت» [6].

- والتوعد بالطرد: «اذهبوا عني يا فاعلي الإثم» [7].

- والتوعد بالعار: «عار الشعوب الخطيئة» [1].

---

(١) العهد القديم. سفر أرميا (٣١: ٣٣ – ٣٤) ص(١١٢٥).

(٢) العهد القديم. سفر حزقيال (٣٦: ٢٥ – ٢٦) ص(١٢٣٥).

(٣) العهد الجديد. أعمال الرسل (١١: ١٨) ص(٣٣١).

(٤) العهد الجديد. إنجيل متى (١١: ٢٨) ص(٣٠).

(٥) العهد الجديد. رسالة كنيسة غلاطية (٣: ١٠) ص(٤٧٣).

(٦) العهد الجديد. رسالة كنيسة رومية (٦: ٢٣) ص(٣٩٤).

(٧) العهد الجديد. إنجيل متى (٧: ٢٣) ص(١٨).

– وبالتوعد بالخوف والقلق: «لا سلام، قال الرب للأشرار» (٢).

والتوعد بفقد الصورة الإلهية التي خلقوا عليها؛ لأن الإنسان خلق على صورة الله، ومثاله ولكن متى وقع الشخص بالخطيئة، فقد هذه الصور: «بهذا أولاد ظاهرون، وأولاد إبليس ظاهرون» (٣).

– وبالتوعد بالعقوبات المخيفة من لعنات وأمراض وهلاك يقول: «ولكن إن لم تسمع لصوت الرب إلهك، لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه وفرائضه.. تأتي عليك جميع هذه اللعنات وتدركك: ملعوناً تكون في المدينة، وملعونًا تكون في الحقل، ملعونًا تكون سلتك ومعجنك، ملعونة تكون ثمرة بطنك، وثمرة أرضك، نتاج بقرك... يرسل الرب عليك اللعن، والاضطراب والزجر في كل ما تمتد إليه يدك لتعمله حتى تهلك وتفنى... تكون قلقًا في جميع ممالك الأرض... تكون حياتك معلقة أمامك، وترتعب ليلاً ونهارًا...» (٤).

أيضًا التوعد بالأبدية المرعبة، والعذاب في الآخرة: «هو ذا يوم الرب قادم قاسيًا بسخط وحمو غضب، ليجعل الأرض خرابًا، ويبيد منها خطاتها» (٥).

«أما الخائفون، وغير المؤمنين الرجسون، والقاتلون، والزناة، والسحرة، وعبدة الأوثان، وجميع الكذبة، فنصيبهم في البحيرة المتقدة بنار الكبريت» (٦).

– والتوعد بالحرمان من ملكوت الله يقول: «حسد قتل سكر بطر، وأمثال هذه التي أسبق فأقول لكم عنها كما سبقت، فقلت أيضًا: إن الذين يفعلون مثل هذه، لا يرثون ملكوت

---

(١) العهد القديم. سفر الأمثال (١٤: ٣٤) ص(٩٥٣).

(٢) العهد القديم. سفر أشعيا (٤٨: ٢٢) ص(١٠٥١).

(٣) العهد الجديد. رسالة يوحنا الأولى (٣: ١٠) ص(٦٠٣).

(٤) العهد القديم. سفر التثنية (٢٨: ١٥ – ٦٨) ص(٣٢٢ – ٣٢٦).

(٥) العهد القديم. سفر أشعيا (١٣: ٩) ص(١٠٠٧).

(٦) العهد الجديد. رؤيا يوحنا (٢١: ٨) ص(٦٥٣).

الله»[1].

ومما ورد في كتب الأحبار والرهبان من الترغيب في طلب الغفران، والترهيب من الوقوع في الخطايا، وترك التوبة.

يقول البابا شنودة الثالث: إن الله المحب للبشر، يدافع من محبته لأولاده، يدعوهم للتوبة؛ ذلك لأنه يريد أن الجميع يخلصون، وهو لا يشاء أن يهلك أحد، بل أن يقبل الجميع إلى التوبة، وهو من أجل خلاصهم مستعد أن يتغاضى عن أزمنة الجهل، ويريد بالتوبة أن يشركنا في ملكوته، ويمتعنا بمحبته، ففي دعوته لنا للتوبة، وعدلنا بتطهيرنا، وغسلنا من الخطيئة؛ لأن عقوبة الخطيئة الموت، وهو انفصال الروح عن الله كما أن الخطيئة ضلال وضياع، وتوهان، وهزيمة لا نصرة فيها، فالإنسان الخاطئ بينه وبين الله خصومة، قد أغضب الله وأحزنه، وانفصل عنه وأنكر الرب صلته به، وتبرأ منه ،ومن خلطته، وأبعده عنه)[2].

ويقول القمص مرقس عزيز: (الرب إله رحيم، ورؤوف بطيء الغضب، كثير الإحسان والوفاء غافر الاثم؛ لذلك يدعونا الله إلى التوبة، وإلقاء حمل خطايانا لنستريح، وما أكثر مواعيد الله التي تشجعنا لنقبل إليه تائبين، لقد وعدنا بأن ينسى كل خطايانا الماضية لنصبح معه وبه وفيه خليقة جديدة)[3].

ويقول القس ميخائيل مكسي: (بالتوبة حلول السلام والفرح في القلب وراحة من الضيقات، وصلح مع الله، ونيل رضاه والتمتع ببركاته في دنياه، وسماه، فطوى لمن لزم التوبة حتى يمضي إلى الرب. والخطيئة قلق وعدم سلام وحزن وكآبة، وقطع رجاء، وغضب من الله على

---

(١) العهد الجديد. رسالة الرسول بولس لكنيسة غلاطية (٥: ٢١) ص(٤٧٨).

(٢) انظر: حياة التوبة والنقاوة ص(١٧ – ٥٣).

(٣) التوبة والاعتراف (١٩).

الخطاة، تجلب العار والمرارة والأمراض)[1] .

أيضًا يقول القمص زكريا بطرس مرغبًا بالغفران، ومرهبًا من الخطيئة: (اللعنات تلحق رافض التوبة اللعنة في المكان، واللعنة في كل زمان، واللعنة في كل شيء، ولعنة الاضطراب والقلق، وما أشد الضربات التي تلحق بكل نفس معاندة عاصية، لقد ذكر الكتاب أنواعًا مرعبة لهذه الضربات ضربة الأمراض، وضربة الجنون، والحيرة، وهلاك الأولاد، وافتراس الرب بأن تمتد يده لتبطش بجماعات وأفراد عبر الأجيال، وهلاك أبدي، وعناء سيعانيه الخاطئ في هذا العالم من جراء الخطيئة، وعذاب دائم سوف يقاسيه في الأبدية الرهيبة لا ينتهي)[2] .

ويقول حبيب جرجس أيضًا: (التوبة صلح مع الله، وتطهير للخطايا، ومحو للمآثم، وبغض للشرور ورجوع إلى الله تصلح ما أفسدته الخطيئة، وتبنى ما هدمته المعصية، وبالخطيئة نفقد كل النعم والمواهب، وما نملكه من الفضائل، والتوبة تعيد لنا ما فقدناه، وتهبنا ثروة من الفضائل، والله أب رؤوف رحيم، لا يذكر المعصية، ولا يحقد على أحد إن ارتكب الإنسان كل المعاصي والآثام، وعاد إليه تائبًا نادمًا يفتح صدره الحنون لاقتباله، ولا يذكر آثامه، بل يطرحها إلى عمق البحر)[3] .

ويقول الراهب فليمون مرغبًا بالغفران: (غفران الخطايا محو العقوبة، وطرح الخطيئة ذاتها في بحر النسيان، والمغفرة هي رفع الموت، وإلغاء سلطانه، فليس موت للذين غفرت لهم آثامهم، بل حياة أبدية، وشفاء للنفس والجسد والروح، وعودة إلى أحضان الله، وحياة جديدة، وتجديد للإنسان، فغفران الخطايا بركة عظمى، وهي أساس كل البركات)[4] .

وقال عوض سمعان مرهبًا من الخطيئة للمبادرة لطلب الغفران: الإنسان في العالم بسبب الخطيئة يتعرض لأضرار نفسية، إذ يحيا حياة القلق، وعدم الاستقرار، كما يتعرض لأمراض نفسية

---

(١) موسوعة طقوس الكنيسة القبطية (١١/٣).

(٢) الطريق الروحي (١٠٠ – ١٠٦).

(٣) سر التقوى. حبيب جرجس. مكتبة المحبة. القاهرة (ط١)، ٢٠٠٢م ص(١٨٤).

(٤) يعطي الغفران الخطايا. للراهب فليمون الأنبا بيشوى. دار نوبار، ٢٠٠٧م ص(١٠٣ – ١٠٤).

أحيانًا يتعذر شفاؤها؛ لأنه لا يجد في نهاية جهاده على الأرض هدفًا ثابتًا أمامه، أو رجاء منيرًا قدامه، كما أن الخطيئة تحني نفسه فتملؤها بالذل والهوان، وتحرمه الراحة والسلام، وتسلبه الوعي الروحي.

كذلك يتعرض لأضرار أدبية، فيصبح عاجزًا عن الارتقاء فوق خطاياه، وللأضرار مادية فكم قوي تهدمت صحته بسبب الخطيئة، وكم من أمة انحلت عراها، فدالت دولتها، وأصبحت أثرًا بعد عين، فالخطيئة بصفة عامة تمنع الخير عن الناس، وتجلب عليهم العار والشنار، وتسبب لهم العلل والأمراض[1].

الفصل الثالث

وسائل طلب الغفران، ولوازمه، وآثاره عند النصارى

وفيه ثلاثة مباحث:

(١) انظر: غفران الذنوب فلسفة الغفران في المسيحية (٢٥ – ٢٧).

المبحث الأول: وسائل طلب الغفران.

المبحث الثاني: لوازم طلب الغفران عند النصارى.

المبحث الثالث: آثار الغفران لدى النصارى.

المبحث الأول

وسائل طلب الغفران[1]

إن أعظم أمنية يتطلع إليها المؤمنون في كل دين من الأديان، هو الحصول على الغفران.

والغفران في الديانة النصرانية أمنية مَهَّدَ الشارع السبل أمام عباده المؤمنين التائبين لطلبه، والحصول عليه، وقد جاءت النصوص المقدسة دالة على ذلك من حين أذن الشارع، وقرر بأن يجعل ابنه عيسى – عليه السلام – فداء وكفارة عن الخطيئة الأولى لأبيهم آدم – عليه السلام – ليعلن بذلك مصالحته للبشرية، وفتح باب المصالحة والغفران لمن يسعى لطلبه، فجاءت الوسائل في طلب الغفران مختلفة ومجتمعة في بعض الأحيان، وهي على النحو الآتي:

١ – الاعتقاد والإقرار بعقيدة الصلب والفداء والكفارة:

(١) القارئ لهذا المبحث سيتضح له جلياً مستنقع الشرك الذي قد غرقت فيه الديانة النصرانية والذي يتجلى هنا صراحةً في وسائل الغفران التي سيرد ذكرها فنحمد الله على نعمة الإسلام ونعمة التوحيد.

إن «الصلب والفداء والكفارة» ركن ركين لجميع شرائع وعقائد الديانة النصرانية عامة، وفي شريعة وعقيدة الغفران خاصة.

فجميع الوسائل التي ستأتي بعده، لا تتم إلا بهذه الوسيلة، فهي وسيلةٌ بذاتها وفي نفس الوقت ركن من أركان جميع وسائل الغفران الأخرى، فلن تصح، ولن تقبل أي وسيلة من وسائل الغفران إن لم يعتقد التائب ابتداءً، ويؤمن بعقيدة «الصلب والفداء».

«الصلب والفداء» عقيدة، ووسيلة، ولازم من لوازم طلب الغفران، كما سيأتي – بإذن الله – في مبحث لوازم الغفران.

وتعتبر عقيدة «الصلب والفداء» وسيلة من وسائل الغفران- عند النصارى-؛ لأن بها نالت البشرية الصفح والغفران[1] عن خطيئة أبيهم – آدم عليهم السلام –، ولأن المسيح سيكون فيما بعد شفيعًا للبشرية عند الرب، ليقبل وسائلهم التي يتقدمون بها لطلب الغفران.

من هنا كان الإيمان بعقيدة الصلب والفداء الوسيلة الأولى للغفران، فقد حازت هذه العقيدة على شرف الصدارة ابتداءً والتصدر عند تقدم الخطاة بأي وسيلة من وسائل التكفير وطلب الغفران عن خطاياهم ليقبلها الرب بشفاعة عيسى – عليه السلام – فقط لمن أمن بعقيدة الصلب والفداء.

يقول الكتاب المقدس عن ذلك: «أنا الآن أرسلك إليهم لتفتح عيونهم كي يرجعوا من ظلمات إلى نور، ومن سلطان الشيطان إلى الله حتى ينالوا بالإيمان بي غفران الخطايا، ونصيبًا من القديسين»[2].

وقال أيضًا: «ونحن واثقون أيها الإخوة بأن لنا طريقًا إلى قدس الأقداس بدم يسوع»[3].

---

(١) كما يزعم علماء النصارى في الديانة النصرانية.

(٢) العهد الجديد. أعمال الرسل (٢٦: ١٦ – ١٨) ص(٣٧٢).

(٣) العهد الجديد. العبرانيين (١٠: ١٩) ص(٥٦٢).

فقدس الأقداس هو المكان المقدس في المعابد اليهودية والنصرانية التي تقام فيها شعائرهم، وعباداتهم، والتي منها شعائر وطقوس الغفران.

وقال أيضًا: «لا يهلك كل من يؤمن به (الابن) بل تكون له الحياة الأبدية»[(١)].

وقال أيضًا: «إن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الأب يسوع المسيح البار، وهو كفارة لخطايانا»[(٢)].

وقال أيضًا: «وبهذا يتبرد كل من يؤمن» [(٣)].

ويؤكد البابا شنودة الثالث على ذلك فيقول: إن عمل المسيح في الخلاص قد تم على الصليب، ومع ذلك فما زال البشر يسعون لنوال هذا الخلاص الذي تم على الصليب، فلن ينال الخلاص إلا من آمن بمعنى أن السيد المسيح فتح باب الخلاص للذين يتوبون، ويعتمدون ويسلكون حب الروح، وليس حب الجسد، ويعيشون في شركة الروح القدس ويكون لهم ثمار الروح، لقد قدم المسيح لنا بموته الكفاري كنزًا من المغفرة نناله منه بسر التوبة في كل مرة. وليس من المعقول أن يعطينا الله في يوم الإيمان، أو في يوم العماد، غفرانًا لكل خطايانا التي سنرتكبها في المستقبل، إنما كل خطيئة نسقط فيها، تحتاج إلى توبة لمغفرتها...[(٤)].

ويقول القمص مرقس عزيز خليل: إن الله حكم على آدم وبنيه في شخصه بالموت الروحي والجسدي، فإما أن يموت الجنس البشري موتًا أبديًا بالروح والجسد وإما أن يسامحهم الله، ويمنحهم الغفران؛ ولأن البشر خطاة، وبحاجة إلى الغفران الذي لا يمكن الحصول عليه بالأعمال أو التوبة فقط، فلابد – لا محالة – من القصاص، أو الكفارة الكافية ابتداءً؛ لهذا دبر الله برحمته وعدله

---

(١) العهد الجديد. إنجيل يوحنا (٣: ١٦) ص(٢٣٧).

(٢) العهد الجديد. رسالة يوحنا الأولى (٢: ١ – ٢) ص(٦٠٠).

(٣) العهد الجديد. العبرانيين (١٣: ٣٩) ص(٣٣٧).

(٤) انظر: حياة التوبة والنقاوة (٩٥ – ٩٩).

طريقة لخلاص البشر من خطيئة آدم، ومصالحتهم مع الله، بواسطة الكفارة المبنية على المبدأ الإلهي القائل: (بدون سفك دم لا تحصل مغفرة) ولأن العالم بحاجة إلى شخص يموت عن الناس، ويكون موته كافيًا لأن يفي العدل الإلهي حقه، ويرفع القصاص عن الإنسان الخاطئ المحكوم عليه بالموت الأبدي، أي قصاص جهنم إذًا تخلص الروح والجسد، وليخلصه من الخطيئة وقوتها ونجاستها، ويخلصه من يد إبليس الذي أسر النفوس، وأوقعها تحت سلطانه، وليتحقق لنا المصالحة مع الله، والمسامحة والغفران عند التوبة، والقيام بالأعمال الصالحة[1].

وقال عوض سمعان في كتابه فلسفة الغفران: (إنه لا سبيل للحصول على الغفران أو التمتع بالله، إلا إذا تم إلغاء مطالب عدالته وقداسته — الرب — بوسيلة ما، وهذه الوسيلة هي بواسطة كائن عوض عنا وبما أنه لا يساوي الإنسان إلا الإنسان مثله لذلك يجب ألا يكون حيوانًا بل أن يكون إنسانًا ويجب أن تكون قيمته معادلة لكل هؤلاء الناس الذي سيفديهم فالفادي - مع وجوب كونه إنسانًا - يجب أن يكون شخصًا غير مخلوق، يجب أن يكون ذا مكانة لا حد لها لسموها وإذا تصفحنا حياة الأشخاص الذين ظهروا في العالم نرى أن هذا الشخص ليس سوى المسيح؛ لأنه هو الذي توافرت فيه جميع الشروط) [2].

وبهذا يتبين أن الإيمان بأن المسيح — عليه السلام — قد قدم نفسه فداءً للبشرية لتكفير الخطية الأولى لأبيهم آدم — عليه السلام —، وهو الوسيلة الأولى من وسائل الغفران في الديانة النصرانية بل وصار الاعتقاد واليقين بهذه العقيدة — الصلب والفداء — علاوة على كونها وسيلة،

---

(١) انظر: استحالة تحريف الكتاب المقدس. القمص مرقس عزيز خليل. كنيسة القديسة مريم العذراء والشهيدة دميانة (ط٨) ٢٠٠٣م ص(١٥٠ — ١٥٦)، وللاستزادة انظر: عظمة المخلص وروعة الخلاص (٨٤)، حتمية كفارة المسيح (٩ — ١٠)، الخطيئة والكفارة في المسيحية والإسلام (١٥ — ٢٠)، العقيدة المسيحية الأرثوذكسية الإكليركي د. سامح حلمي، دار نوبار، (ط١) ٢٠٠٤م ص(٣٦ — ٤٥)، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية. القس بيشوى حلمي، دار نوبار (ط١) ٢٠٠٧م، ص(٢٨٧).

(٢) غفران الذنوب. فلسفة الغفران في المسيحية (٩١ — ٩٢).

أصبحت ركنًا أساسيًا في كل وسيلة يتقدم بها التائبون عند طلبهم للغفران وذلك لأن المسيح – عليه السلام – أصبح هو الوسيط الوحيد، والشافع لهم عند الرب فبفدائه للبشرية فتح باب الغفران والمصالحة للبشرية عند الرب[1].

ومن الوسائل التي يقوم بها النصارى لطلب الغفران، ولنيله القيام ببعض الطقوس التطهيرية التي يطلق عليها **«أسرار الكنيسة»**[2]، والأسرار المتعلقة بالتطهير والغفران من مجموع أسرار الكنيسة هي كالآتي:

سر المعمودية، سر الميرون، سر التوبة والاعتراف، سر الافخارستا.

ويمارس النصارى هذه الأسرار تحت مظلة الكنيسة على يد الكهنة تطهيرًا للمذنبين من آثامهم، وقيام الكهنة بهذه الطقوس المعروفة بطقوس التطهير، يعتبر من أخص واجباتهم، وقد أسندت هذه المهمة إلى الكهنة، حتى يغرس في نفوس الشعب أن الكهنة هم المصدر الأساس

---

(١) للاستزادة انظر: المسيحية، أحمد شلبي (١٥٤ – ١٥٥)، ملكوت الله في النصرانية (١٣٣)، عقيدة الخلاص في الديانة المسيحية (٧١ – ٧٣)، مقارنة الأديان للخطيب (٣١٢)، الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه (٤٤٩ – ٤٩٧)، قصة الحضارة (٢٤٩/١١ – ٢٥٠)، الخلاص من الخطيئة (٤١ – ٤٤)، الذنب والمغفرة في ضوء القرآن والعهد الجديد (٩١ – ١١١)، خرافات التوراة والإنجيل. محمد حسني يوسف. دار الكتاب العربي. دمشق، القاهرة (ط١) ٢٠٠٦م ص(١٩٩ – ٢٠٧)، الإنجيل قادني إلى الإسلام د. الحسيني الحسيني معدي. دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة (ط١) ٢٠١٠م ص(٤٩ – ٥٠)، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية. محمد طاهر التنير. محمد المجذوب. دار الشواف. الرياض، ١٩٩٢م ص(٣٨)، المسيح إنسان أم إله. د. محمد مجدي مرجان. مكتبة النافذة. الجيزة (ط٢) ٢٠٠٤م ص(١١١ – ١١٧).

(٢) أسرار الكنيسة: هي جمع سر والسر الكنسي يراد به: نعمة أو عطية إلهية غير منظورة، تُمنح للمتقدم إليه بعمل الروح القدس، وذلك بواسطة صلوات وممارسات طقسية، تتم على يد كاهن شرعي. وضع السيد المسيح هذه = =الأسرار في كنيسة لينال بها المؤمنون نعمًا وعطايا تفتح لهم الطريق إلى ملكوت السموات، وتعينهم على السير في هذا الطريق؛ وهي: سر المعمودية، سر الميرون، سر التوبة والاعتراف، سر الشكر (الافخارستا)، سر مسحة المرضى، سر الزيجة المقدس، سر الكهنوت. انظر: عقائدنا المسيحية (٣١٥ – ٣٤٢)، موسوعة طقوس الكنيسة القبطية (٦٠/٢ – ١٢٧).

للطهارة من الذنب، ومن كل شيء[1].

فهم خدمٌ للأسرار، فالذي يقوم بها حقيقةً روح القدس، ولكن على يد الكهنة، وقد بيّن البابا شنودة الثالث ذلك فقال: (إن أسرار الكنيسة السبعة ليست أعمالاً بشرية يقوم بها الأب الكاهن، وإنما هي أعمال سرية يقوم بها الروح القدس نفسه على يد الكاهن الذي لا يعدو أن يكون خادمًا للأسرار)[2].

٢ – التعميد (سر المعمودية)[3]:

المعمودية في النصرانية هي: (طقس الغسل بالماء رمزًا للنقاوة، والانخراط في سلك طائفة

---

(١) انظر للاستزادة: الإسلام اليهودية دراسة مقارنة من خلال سفر اللاويين (١٩٩).

(٢) بدعة الخلاص (٥٤).

(٣) انظر: قاموس الكتاب المقدس (٦٣٧/٢)، اللاهوت المقارن الجزء الأول. بابا شنودة الثالث. الكلية الإكليركية للأقباط الأرثوذكس. القهرة (ط٨) ٢٠١٠م (٢٤ – ٣٢)، بدعة الخلاص (٢٤ – ٣٤)، حياة التوبة والنقاوة (٢٧)، عقائدنا المسيحية (٣١٦ – ٣٢٤)، موسوعة طقوس الكنيسة (١٦/٢ – ٣٨)، النصرانية والإسلام عالمية ودوامة إلى قيام الساعة. محمد عزت الطهطاوي. مكتبة النور. مصر (ط٢) ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م ص(٦٢ – ٦٤)، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، دراسة مقارنة للمسيحية. د. رؤوف شلبي، دار البشير، طنطا، مصر (٢٥٩)، مقارنة الأديان للساموك (١٣٦)، الموسوعة الميسرة في الأديان (٥٧٦/٢)، خرافات التوراة والإنجيل (٢٣٧)، اليهودية لأحمد شلبي (١٦٨)، قاموس الأديان الثلاثة (٧٥)، الذنب والمغفرة (١٣٦ – ١٤٢)، محاضرات في النصرانية (١٠٧)، دائرة معارف القرن العشرين (٢١١/١٠ – ٢١٢)، تحريف رسالة المسيح (٢٠٠ – ٢٠٣)، مصادر الديانة النصرانية (٨٢٨/٢)، المسيحية (النصرانية دراسة وتحليل) (١٣٧)، تأثر المسيحية بالأديان الوضعية (٥٩٦)، ترجمان الأديان (٣٦٧)، اليهودية والنصرانية للخلف (٣٤٣)، الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه (٥٧٨ – ٥٩١)، قصة الحضارة (٢٨٤/١١)، مقارنة الأديان للخطيب (٣٤٠)، القرآن يتكلم والإنجيل يثبت ما يقوله دين الحق. محمد حسني يوسف، دار الكتاب العربي. دمشق، القاهرة (ط١) ٢٠٠٦م، ص(٢٧٥)، عقيدة الخلاص في الديانة المسيحية (١٧٦ – ١٨٢).

ما)[1].

يعتبر «سر المعمودية» من أهم أسرار الكنيسة، ومن طقوس الشريعة النصرانية، فهي ترمز إلى الولادة الثانية من الله؛ حيث لا يحصل الإيمان بالنسبة إلى الفرد المسيحي دون أن يتعمد على يد الكهنة. فلا يقوم بالتعميد أحد غير الكهنة إلا للضرورة، وحينئذ تسمى «تعميد الضرورة».

وقت التعميد: لم يتفق النصارى على وقتٍ للتعميد، فبعضهم يُعمد الشخص في طفولته، لينشأ الطفل مبرأ من الذنوب، والبعض الآخر يعمد في أي وقت، بشرط أن يكون المعمد قد بلغ سن الرشد، والبعض الآخر يُجري التعميد للشخص وهو على فراش الموت، بحجة أن التعميد إزالة للسيئات، وتطهير للذنوب، فيحسن أن يتم حيث لن تحصل ذنوب بعده.

وحيث إن التعميد يعتبر علامة تطهير من الخطايا، لهذا يرى البعض من النصارى أن التعميد للكبار فقط الذين بلغوا سن الرشد، بحيث يمكن لهم فهم الخلاص، والاعتراف بالتوبة، إذ لا يمكن لإنسان أن تكفر خطاياه وتغفر ذنوبه ما لم يعمد، فالتعميد أساس وسبب لتكفير الخطايا.

ويتم التعميد على يد الكاهن من خلال طقوس معينة، إذ يقوم بتغطيس المتعمد، أو رشه بالماء ثلاث مرات، ويرمز ذلك لعدد الأيام التي قضاها السيد المسيح في القبر، والماء المستخدم في طقس المعمودية هو ماء مقدس بفعل الروح القدس، يقدسه ويعطيه صفة التوليد الروحاني، حتى أن كل من ينزل إليه يكون مولودًا من الله بالماء والروح.

ومن فوائد وبركات المعمودية التي تحصل للمعمد[2] هي:

١ – عتق المؤمن من الخطيئة الجسدية: أي الخطيئة الأولى، فالمعمودية هي الطريق إلى الانعتاق من أثر هذه الخطيئة؛ لأن الروح القدس ينزع من خلال هذه المعمودية من المؤمن طبيعته

---

(١) قاموس الكتاب المقدس (٢/٦٣٧).

(٢) ان هذه البركات بركات باطلة يزعمها ويدعيها رجال الدين النصراني وهي بركات لا صحة ولا أصل لها .

الأولى التي ينزل بها إلى المعمودية، ليمنحه بعد ذلك طبيعة جديدة هي طبيعة المسيح.

٢ – غفران الخطايا الفعلية، والتطهير بالروح القدس من جميع الأدناس والنجاسات دل على ذلك: «توبوا ليتعمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح، لغفران الخطايا، فتقبلوا عطية الروح القدس» [(١)].

وقال: «من آمن واعتمد خلص» [(٢)].

وقال أيضًا: «مطهرًا إياها بغسل الماء بالكلمة» [(٣)].

وقال أيضًا: «قم واعتمد، واغسل خطاياك» [(٤)].

فالمعمودية واسطة إلى غفران الذنوب بواسطة المسيح.

شرعت لتمحو جميع الخطايا: الخطيئة الأصلية، والخطايا الفعلية، خطايا الفكر، والقول والعمل، والخطايا التي يتذكرها الإنسان، والخطايا المنسية.

٣ – ولادة المؤمن ولادة جديدة من فوق، دل على ذلك: «إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله المولود من الجسد جسد هو، والمولود من الروح هو روح» [(٥)].

وقد أكد أحبار النصارى ورهبانهم على أهمية المعمودية، وضروريتها، وارتباطها بالغفران.

فيقول عن فاعلية المعمودية البابا شنودة الثالث مؤكدًا أهميتها: يتم الخلاص بالمعمودية قال

---

(١) العهد الجديد. أعمال الرسل (٢: ٣٨) ص(٣٠٦).

(٢) العهد الجديد. إنجيل مرقس (١٦: ١٦) ص(١٣٨).

(٣) العهد الجديد. الرسالة إلى كنيسة أفسس (٥: ٢٦) ص(٤٨٩).

(٤) العهد الجديد. أعمال الرسل (٢٢: ١٦) ص(٣٦٢).

(٥) العهد الجديد. إنجيل يوحنا (٣: ٣ – ٦) ص(٢٣٦).

المسيح: (من آمن واعتمد خلص، ولم يقل (من آمن خلص)، وإنما اشترط المعمودية إلى جوار الإيمان.

فبالمعمودية ننال الميلاد الثاني من الماء والروح، وبالمعمودية غسل من الخطايا، وبها مغفرة الخطايا.

ولابد أن يقوم بها كاهن شرعي، فالكتاب المقدس يرينا أن السيد المسيح لم يترك مسألة المعمودية إلى عامة الناس، إنما تركها لرسله القديسين، كما ورد عنه في حديثه لتلاميذه قبل صعوده: «اذهبوا، وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس» [1].

وتكون المعمودية بالتغطيس، وليس بالرش، فالمعمودية صبغة ولا يمكن أن تتم الصبغة إلا بالتغطيس، والمعمودية ولادة ثانية، وغسل من الخطايا[2].

ويقول القس بيشوى حلمي عن أهمية وفاعلية المعمودية في الغفران: المعمودية سر مقدس يقوم الكاهن بتغطيس المعمد في الماء ثلاث مرات باسم الثالوث القدوس، وهذا السر يعطي نعمًا وبركات كثيرة للمعمد، أهمها الولادة الثانية، والخلاص من الخطيئة الجدية، ونيل الغفران عن الخطايا السابقة، وبالمعمودية نموت مع المسيح، ونقوم معه في حياة جديدة، ونصير أبناء الله، وتفتح لنا الطريق إلى ملكوت الله، ونفي ما يتوجب علينا من ديون.

وللمعمودية أسماء عديدة، منها: الولادة الثانية، الولادة الجديدة، الولادة الروحية، سر الحميم، الميلاد الثاني، حميم الحياة، ماء الحياة الدائمة، ختم الإيمان، الينبوع المقدس، حميم الخلاص.

ومادة سر المعمودية هي الماء المقدس، ولعل السبب في استخدام الماء دون غيره؛ لأن الماء

---

(١) العهد الجديد. إنجيل متى (٢٨: ١٩) ص(٨٥).

(٢) انظر: اللاهوت المقارن (٢٤ – ٣٢)، وللاستزادة انظر: بدعة الخلاص (٢٤ – ٣٤)، حياة التوبة والنقاوة (٢٧).

ضروري للحياة، ومنعش للجسم، ويغسل وينظف أقذار الجسد والمعمودية تغسل أقذار الخطيئة الداخلية[1].

ويقول د. ميخائيل مكسي في موسوعة طقوس الكنيسة عن ثمار المعمودية: تمنح المعمودية للمعمد نعمة التقديس، والتبرير، وغفران الخطايا الجدية، والفعلية التي ارتكبت قبل العماد، فبالمعمودية ننعتق من الخطيئة، ويتم غسل الجسد، وتطهير النفس، ويمنح المعمد الميلاد الثاني، ونعمة التبني لله، والوارثة للسماء، والاتحاد بكنيسة المسيح[2].

والمعمودية تتم مرة واحدة للشخص، لهذا فمتى تعمد الشخص، ووقع في الخطايا بعد العماد؛ فإن عليه أن يلجأ لوسائل أخرى في التوبة، وقد نبه البابا شنودة على ذلك قائلاً: في المعمودية مغفرة للخطايا لهذا تشترط الكنيسة معمودية الكبار الإيمان، والتوبة، والاعتراف، وتمنع الكنيسة عماد غير التائبين، فقد قال الكتاب: «إيمان واحد، معمودية واحدة»[3].

فحينما يوجد الإيمان الواحد، توجد معه المعمودية الواحدة.

ولا يمكن إعادة معمودية إنسان قد تعمد في الكنيسة، ولكن توجد وسائل أخرى للتوبة للإنسان المعمد[4].

---

(١) انظر: عقائدنا المسيحية. القس بيشوي (٣١٥ – ٣٢٣)، وللاستزادة انظر: المعمودية المقدسة. القديس باسيليوس الكبير. ترجمة مرقوريوس الأنبا بيشوي. مؤسسة القديس. باسيليوس (ط١) ٢٠٠٨م ص(٣٥ – ٦٤)، العقيدة المسيحية الأرثوذكسية. سامح حلمي (١٢٥)، قبول المسيح. القمص زكريا بطرس. كنيسة السيدة العذراء مريم. انجلترا ٢٠٠١م ص(٨٢)، الخلاص بين الوحي والمفاهيم البشرية (٧ – ٤٥)، الروحانية الأرثوذكسية. د. نصحي عبد الشهيد بيت الكريس لخدمة الكرازة. القاهرة ٢٠٠٨م ص(٨٤ – ٨٩)، عقائد الخلاص والفداء والكفارة (٢١٢)، الخلاص. كريستوفر. وايت (١٦٠).

(٢) انظر: موسوعة طقوس الكنيسة القبطية (٢/١٦ – ٢٣).

(٣) العهد الجديد. رسالة كنيسة أفسس (٤: ٥) ص(٤٨٥).

(٤) انظر: اللاهوت المقارن (٤٨)، حياة التوبة والنقاوة (٢٧)، وللاستزادة انظر: العقيدة المسيحية الأرثوذكسية. سامح حلمي (١٢٥).

وحتى يتم تثبيت إكمال أثر المعمودية على المعمد، لابد من القيام بالسر الثاني من أسرار الكنيسة، وهو (سر الميرون).

٣ – سر مسحة الميرون المقدس (سر التثبيت) [١]:

الميرون هو: كلمة يونانية، تعني (طيب)، أو (دهن) في المصطلح الكنسي، هو خليط مطبوخ من عدد كبير من مختلف العقاقير والأطياب في زيت الزيتون، مضافًا إليها الحنوط التي كانت على جسد المخلص عند تكفينه، والتي أخذت من كفنه المقدس بعد قيامه[٢]؛ ولهذا السر أسماء عدة، من هذه الأسماء: «سر المسحة»؛ لأن الأب الكاهن يمسح به المعمد بعد خروجه من جرن المعمودية.

«سر التثبيت» لأن به يثبت المسيح في المعمد، والمعمد يثبت في المسيح، ليجني المعمد به ثمار الروح القدس فيه.

كما سمي «موهبة الروح القدس، وسر الروح، وعلامة الروح، وختم الروح القدس وختم الحياة الأبدية»[٣].

ويُعد هذا السر مقدسًا لدى النصارى بكلمة الله، والصلاة يمسح به بإشارة الصليب[٤] المقدس في ستة وثلاثين موضعًا من أعضاء جسم المعمد، ليمتلئ من عطية الروح القدس.

---

(١) انظر: موسوعة طقوس الكنيسة (٢/٤٨ – ٥٦)، عقائدنا المسيحية (٣٢١)، الروحانية الأرثوذكسية (١٤٠)، بدعة الخلاص (٤٦)، اللاهوت المقارن (١٤٢)، مقارنة الأديان للساموك (١٣٦)، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء (٢٥٩)، الموسوعة الميسرة (٢/٥٧٦)، اليهودية، أحمد شلبي (٢٤٢)، ترجمان الأديان (٣٦٩)، الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام (٥٧٦)، هامش (٣)، قصة الحضارة (١١/٢٨٤)، مصادر الديانة النصرانية (٢/٩٦٢)، مقارنة الأديان للخطيب (٣٤٤)، عقيدة الخلاص في الديانة النصرانية (١٨١)، الذنب والمغفرة (١٤٠).

(٢) زعم ودعوى باطلة لا صحة ولا أصل لها إنما هي من ابتداع رجال الدين النصراني.

(٣) موسوعة الطقوس الكنيسة (٢/٤٨)، وللاستزادة انظر: عقائدنا المسيحية (٣٢١).

(٤) سبحان الله حين تنتكس الفطر يصبح الباطل في عين المنتكس حق فحين انتكست فطر النصارى أصبحت الإشارة على شكل الوثن (الصليب) إشارة مقدسة.

وتأتي هذه المسحة بعد المعمودية مباشرة، لهذا فهي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالمعمودية، بل هما متلازمان، فالميرون تحقيق للمعمودية، والارتباط بينهما ارتباط تكميلي، حيث إن مسحة الميرون تُعد تكميلاً للمعمودية، وفاعليتها، وتثبيتًا للمعتمد في الإيمان والإصلاح من خلال الروح القدس، كما جاء في سفر أعمال الرسل: «بوضع أيدي الرسل يعطي الروح القدس»[(١)]. فبعد أن يخرج الإنسان المعمد من المعمودية تكون قد غفرت له جميع خطاياه، ليصبح بذلك إنسانًا جديدًا، خاليًا من الخطايا، وبعد ذلك، فإن هذا الإنسان بحاجة إلى ما يثبته في هذه النعمة التي حصل عليها بالمعمودية، وهذا هو عمل مسحة الميرون، فإنها تثبت المؤمن المعتمد في حالة النقاء، وتحفظ له وجوده، واستمراريته في حياته الجديدة التي حصل عليها بالمعمودية لذلك يسمى سر التثبيت[(٢)].

يقول القس بيشوي عن أثر وأهمية سر الميرون: هو سر مقدس، به ننال ختم موهبة الروح القدس، للتثبيت في الحياة المسيحية، فالمولود روحيًا – المعمد – يلزمه قوة لينمو روحيًا، وهذه القوة يمنحها سر الميرون، فنحن بالعماد نتطهر، وبالميرون نتقوى بالروح القدس بالمعمودية ننال الولادة الثانية، وبالميرون ننال الروح القدس الذي يساعدنا على النمو الروحي... بالمعمودية ننجو من الموت، وبالميرون نسعى في طريق الأبدية.

يتم هذا السر بعد المعمودية مباشرة، وفاعليته هي قبول الروح القدس، ومواهبه، وسكنى الروح القدس داخلنا، واستنارة للعقل، وتعلمنا كل شيء، وتهبنا الثبات في المسيح، والتبكيت على الخطايا، والحث على التوبة، وبالنسبة لغير المؤمنين يدفعهم هذا السر إلى الإيمان.

وهذا السر لا يعاد مثل المعمودية، حتى لو أنكر الإيمان وعاد، حيث إنه ينطفي في الخاطئ، ولكنه لا يفارقه إلى ما لا نهاية، وعندما يقدم الخاطئ توبة وندامة، ويمارس وسائط النعمة كلها يشتغل فيه الروح القدس من جديد، ويهبه من ثماره، ومن مواهبه الكثيرة[(٣)].

---

(١) العهد الجديد. أعمال الرسل (٨: ١٧) ص(٣٢٢).

(٢) الذنب والمغفرة (١٤٠ – ١٤١).

(٣) انظر: عقائدنا المسيحية (٣٢١ – ٣٢٤)، وللاستزادة انظر: موسوعة طقوس الكنيسة (٢/٤٨ – ٥٦).

ويقول البابا شنودة الثالث: (إن الكنيسة تساعد الناس على الخلاص بسكنى الروح القدس فيهم، وتعطيهم ذلك عن طريق المسحة المقدسة: «أما أنتم، فنلتم مسحة من القدوس، وعرفتم كل شيء»[1]، وهذا السر العظيم تمنحه الكنيسة، فمادام أن الإنسان بدون الروح القدس لا يستطيع أن يحيا حياة روحية، ولا أن يتبكت على خطيئته، إذن فمنح هذا السر عن طريق الكنيسة له عمله الخلاصي العميق؛ لأن الكنيسة هي الوسيط في منح الروح القدس للمؤمنين المعمدين)[2].

إن مسحة الميرون والمعمودية يقدمان مرة واحدة للإنسان؛ ولأنهما يُعدان وسيلتان من وسائل طلب الغفران، ونيله عن الخطايا، ولكن في المقابل قد نجد أن الإنسان قد يقع في الخطايا بعد تعميده ومسحة لهذا شرعت الديانة النصرانية وسائل أخرى لنيل الغفران على يد رجال الكنيسة، يقول البابا شنودة الثالث عن ذلك: (الناس يخطئون بعد معموديتهم، ويحتاجون إلى الخلاص من عقوبة هذه الخطايا. وهنا تقدم لهم الكنيسة سر التوبة، وسر الافخارستيا لمغفرة خطاياهم)[3]، لهذا فمن وسائل الغفران التي شرعتها الكنيسة، وسمحت بتكررها كلما تكرر وقوع الإنسان في الخطيئة، ورغب بالتوبة، وطلب الغفران (سر التوبة، سر الأفخارستيا).

وكلا هاتين الوسيلتين لا تتمان إلا تحت مظلة ورعاية الكنيسة، فهما يعدان من أسرار الكنيسة المقدسة، وقبول الكنيسة لهما من التائب، يعني قبول الرب له، ورفضها لهما يعني في المقابل رفض الرب لهذا التائب.

٤ – سر التوبة والاعتراف:

المراد بسر التوبة والاعتراف يقول القس بيشوي هو: (سر مقدس، فيه يرجع الخاطئ إلى الله، ويقدم توبة على خطاياه، ويعترف بها أمام الكاهن، ليحصل منه على حل لخطاياه بالسلطان

---

(١) العهد الجديد. رسالة يوحنا الأولى (٢: ٢٠) ص(٦٠١).

(٢) بدعة الخلاص (٤٧)، وللاستزادة انظر: اللاهوت المقارن (١٤٢).

(٣) بدعة الخلاص في لحظة (٤٦).

المعطى للكاهن من قبل الرب يسوع، وبذلك تتم مغفرة خطايا التائب) [1].

ويقول د. ميخائيل مكسي في تعريف سر التوبة: (هو رجوع الخاطئ إلى الله، ومصالحته باعترافه بذنوبه وآثامه وزلاته، وشروره أمام كاهن الله، ليحصل منه على «الحلِ» أي رحمة الله له، بالسلطان الممنوح له من الرب يسوع: «سأعطيك مفاتيح ملكوت السموات، فما تربطه في الأرض يكون مربوطًا في السماء، وما تحله في الأرض يكون محلولاً في السماء» [2].

وقال أيضًا: «من غفرتم له خطاياه تغفر له، ومن أبقيتم له خطاياه أبقيت له» [3].

وقال أيضا: «تم الزمان، واقترب ملكوت الله، فتوبوا، وآمنوا بالبشارة» [4]) [5].

ومن الشواهد على هذا السر: «وكان كثيرون من الذين آمنوا يأتون مقرين ومخبرين بأفعالهم» [6].

«اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات» [7].

«إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين عادل حتى يغفر لنا خطايانا، ويطهرنا من كل أثم» [8].

ومن الأسماء التي تطلق على سر التوبة والاعتراف [9]:

حلاً للخطايا، المصالحة – بين الخاطئ التائب والله الرحوم –، معمودية الثانية.

---

(١) عقائدنا المسيحية (٣٢٤).

(٢) العهد الجديد. إنجيل متى (١٦: ١٩) ص(٤٦).

(٣) العهد الجديد. إنجيل يوحنا (٢٠: ٢٣) ص(٢٩٦).

(٤) العهد الجديد. إنجيل لوقا (١: ١٤) ص(٨٨).

(٥) موسوعة طقوس الكنيسة القبطية (٦٠/٢).

(٦) العهد الجديد. أعمال الرسل (١٩: ١٨) ص(٣٥٣).

(٧) العهد الجديد. رسالة يعقوب (٥: ١٦) ص(٥٨٠).

(٨) العهد الجديد. رسالة يوحنا الأولى (١: ٨ – ٩) ص(٥٩٩).

(٩) انظر: عقائدنا المسيحية (٣٢٥)، موسوعة طقوس الكنيسة (٦٠/٢).

اعترافًا، ميناء ثانية.

يقوم الخاطئ التائب بممارسة هذا السر تحت مظلة الكنيسة على يد الكهنة وفق طقوس معينة، وبشروط لينال الخاطئ التائب عقب انتهائه من هذا السر بفوائد وبركات، من أهمها الغفران.

وقد بين د. ميخائيل بعرض مفصل لجميع ما يتعلق بهذا السر، فيقول: سر التوبة هو السر المختص بفاعلية الروح القدس في حياة الخاطئ التائب، فينال الغُفران بفعل الروح القدس، الذي يستدعيه الكاهن في «صلاة التحليل» للمعترف، وهي صلاة يُقر فيها الخاطئ بذنوبه أمام الله – في وجود الكاهن – ليرشد إلى ما ينبغي عمله، لعدم الرجوع إلى الشرور التي ارتكبها، ثم يتلو له صلاة التحليل.

ولهذا السر شروط لتكون التوبة مقبولة لدى الله:

١ – انسحاق القلب، وندامته على الخطايا، وتبكيت الضمير على الشر.

٢ – عزم ثابت على إصلاح السيرة، ونقاء السريرة (القلب – النية).

٣ – إيمان بالمسيح المخلص، ورجاء في تحننه، ورحمته له.

٤- اعتراف شفوي بالخطايا، أمام الأب الروحي.

والاعتراف ليس مجرد حزن على الخطيئة، أو ندامة، أو عملية تهدئة للضمير، أو تنفيس عن مشكلات مكبوتة، أو مجرد تذكر للخطايا، وإحصاء لها، لكنه رغبة أكيدة في عشرة الله، وكراهية تامة للخطيئة، (وليس مجرد تركها) ومحبة الله.

ولهذا السر فوائد وبركات[1]، من أهمها:

الصلح مع الله، معمودية ثانية، ورجوع إلى الله، تجدد القلب الخاطئ، إصلاح ما أفسدته

---

(١) بركات باطلة يزعمها رجال الدين النصراني ليتحقق لهم ماربهم واطماعهم من كل من يريد الغفران.

الخطيئة، مسامحة الله للخاطئ ومحو آثامه السابقة، وعدم ذكر الله لها، والتبرر من الخطيئة، ونيل الخلاص والانعتاق من عقاب الخطيئة، والمصالحة مع الله، ونوال سلامه الداخلي، والحصول على النبوة التي فقدها بخطيئته.

ولا يتم الاعتراف إلا على يد الكاهن؛ لأنهم هم وكلاء أسرار الله منهم يستمد الخطاة التائبون المشورة، والإرشاد الروحي، ويحيون تحت فحص نور الله، وحتى يأخذوا منهم دفعة جديدة نحو النمو الروحي.

والاعتراف أنواع:

١- اعتراف على الله: «قلت أعترف للرب بذنبي، وأنت (يارب) رفعت آثام خطيتي»[(١)].

٢ – اعتراف الإنسان بينه وبين نفسه أي محاسبة النفس قبل التوجه للاعتراف للكاهن: «مثل الابن الضال الذي رجع إلى نفسه»[(٢)].

٣ – اعتراف المخطئ إلى من أخطأ إليه طالبًا الصفح منه، عما صدر منه، وأن يرد ما سلبه منه من أشياء: «اذهب أولاً اصطلح مع أخيك»[(٣)].

٤ – اعترف على الأب الكاهن الشرعي: «إن النفس التي أذنبت فلتقر بخطيئتها التي عملت، وترد ما أذنبت به»[(٤)].

ويفرض الكاهن على المعترف تأديبات كنسية من صدقة، وخدمة للكنيسة، أو صلاة أو صوم... ولهذه التأديبت فوائد على المعترف:

---

(١) العهد القديم. سفر المزامير (٢٢: ٥) ص(٨٤٦).

(٢) العهد الجديد. إنجيل لوقا (١٥) ص(١٩٧ – ١٩٨).

(٣) العهد الجديد. إنجيل متى (٢٥: ٢٤) ص(٧٢).

(٤) العهد القديم. سفر العدد (٥: ٦ – ٧) ص(٣١٦).

– أنها تلين قساوة القلب، وتحرك الخاطئ للشعور بذنبه والاعتراف به.

– أنها تدريبات روحية ضد شهوات النفس.

– أنها تدعو للنمو في الفضيلة ليتدرب الشره على الصوم، واللص على الرحمة والصدقة، والبعيد عن الله لكي يرتبط بالكنيسة، وقراءة كتبها، وممارسة صلواتها، والمشاركة في قداستها.

– ومن أهم فوائدها وأهدافها انسحاق الخاطئ أمام الله، ورجوعه عن خطاياه وشروره؛ لهذا يجب على المعترف أن يتقبل هذه التأديبات بروح الطاعة والوادعة حتى تأتي بثمارها المرجوة، وحتى ينال التحليل من الكاهن بعد اعترافه اعترافًا كاملاً بخطاياه، وأخذه المشورة والإرشاد، والتداريب الروحية، وركوعه في خشوع واتضاع أمام الأب الكاهن، طالبًا أن يحله من خطاياه، حينها يستدعي الكاهن الروح القدس لكي يحل على المعترف التائب، الذي جاء طالبًا الصفح والسماح من قبل الله، ولكن قبل أن يهبه الكاهن التحليل يصلي التائب المعترف الصلاة الربانية، كما هو وارد في سفر المزامير، ومن ثم يردد الكاهن فوق رأس المعترف تلاوات خاصة بالتحليل، ثم ينفخ في وجهه مباركا إياه بعلامة الصليب، وبذلك ينال الغفران، ويتقدم ليمارس السر الأخير المتعلق بالغفران وهو «سر الأفخارستيا» سر التناول.

٥- سر الأفخارستيا (العشاء الرباني)[(١)]:

---

(١) انظر: موسوعة طقوس الكنيسة القبطية (٢/٦٠ – ٨٤)، وللاستزادة انظر: عقائدنا المسيحية (٣٢٤ – ٣٢٨)، اللاهوت المقارن (١٣٢ – ١٣٦)، حياة التوبة والنقاوة (٢٢٠ – ٢٢٥)، بدعة الخلاص (٨٠)، العقيدة المسيحية الأرثوذكسية (١٣٦)، قبول المسيح (١٣ – ٣٣)، الروحانية الأرثوذكسية (٨٧)، التوبة والاعتراف (٥٠ – ٧٦)، عظمة المخلص وروعة الخلاص (٤٢ – ٤٤)، تائب ومعترف (٢٣ – ٣٨)، الأسرار رعويًا. القمص أشعيا ميخائيل. دار يوسف كمال (ط١) ٢٠٠٥م ص(١٣ – ٢٤)، قاموس الكتاب المقدس (٢/٦١٩)، ريحانة النفوس في أصل الاعتقادات والطقوس. القس بنيامين شنيدر طبع في بيروت ١٨٥٤م ص(٦٩ – ٨٠)، مصادر النصرانية (٢/٩٦٥ – ٩٦٨)، ترجمان الأديان (٣٦٥ – ٣٦٦)، عقيدة الخلاص في الديانة النصرانية (١٨٧)، الذنب والمغفرة (١٤٤ – ١٤٨)، مقارنة الأديان للساموك (١٣٦)، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء (٢٦٠)، اليهودية لأحمد شلبي

سر الأفخارستيا هو أحد أسرار الكنيسة[1]، وهو السر المتمم لبركات سر التوبة والاعتراف، لذا فهو وسيلة متممة للمعمودية الثانية، والدائمة للخاطئ المتقدم بالتوبة والاعتراف، وفي الوقت نفسه وسيلةٌ لنيل الغفران والخلاص من الذنوب والخطايا.

والمراد بسر الافخارستيا هو: سر الشكر، وهو سر يرى النصارى أنه سر مقدس فيه يتناول المؤمن جسد السيد المسيح، ودمه الأقدسين تحت شكلي الخبز والخمر[2]. وبصلوات الكاهن المرتبة بالقداس الإلهي على الخبز والخمر يحل الروح القدس عليهما، فيتحول ويتغير ويتبدل جوهر الخبز إلى جسد المسيح، وجوهر الخمر إلى دمه – وهذا ما يطلق عليه في النصرانية الاستحالة –، وعلى ذلك فالمؤمن لا يتناول خبزًا وخمرًا على بسيط الحال، إنما يتناول فعلاً جسد المسيح الحي، ودمه الطاهر المسفوك عن خلاصنا[3].

وقد استدل النصارى على تعلق العشاء الرباني بالغفران ، وبأنه وسيلة من وسائل الغفران بنصوص عدة، من ذلك: «أخذ يسوع خبزًا، وبارك، وكسره، وناول تلاميذه، وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي، وأخذ كاسًا وشكر، وناولهم وقال: اشربوا منها كلكم هذا هو دمي، دم العهد الذي يسفك من أجل أناس كثيرين لغفران الخطايا»[4].

- ومن أسماء هذا السر:

سر الشكر، العشاء الرباني، العشاء السري، العشاء الإلهي، مائدة الرب، وكأس الرب،

---

(٢٤٢)، الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام (٥٧٧)، هامش (١)، قصة الحضارة (٢٨٥/١١)، النصرانية والإسلام عالمية ودوامة (٦٦)، اليهودية والنصرانية للخلف (٣٤٤)، دائرة معارف القرن العشرين (٢١٢/١٠)، مقارنة الأديان للخطيب (٣٤٣)، الموسوعة الميسرة في الأديان (٥٧٧/٢)، قاموس الأديان الكبرى الثلاث (٢٦٩).

(١) الأأفخارستا هو أحد اسرار التوبة الشركية الصريحة التي يزعمها ويفرضها رجال الدين النصراني على من يطلب الغفران.

(٢) عقائدنا المسيحية (٣٢٨)، وللاستزادة: انظر: موسوعة طقوس الكنيسة (٨٤/٢)، ريحانة النفوس (٧٨ – ٧٩).

(٣) انظر: الذنب والمغفرة (١٤٢).

(٤) العهد الجديد. إنجيل متى (٢٦: ٢٦ – ٢٨) ص(٧٥)، لوقا (٢٢: ١٩) ص(٢١٨).

مائدة المسيح، المائدة السرية، المائدة المقدسة، الخبز السماوي، سر الشركة، سر الأسرار، شركة جسد المسيح ودمه، الافخارستا – أي الشكر –، الاجتماع، التقدمة، إفلوجيا – البركة –، الليتورجيا – الخدمة المقدسة –، سر التناول، الذبيحة المقدسة السرية، الخلاص المقدس، الدم المقدس، دم المسيح، الدم الكريم، كأس الاتحاد، كاس الحياة الخلاصية، القربان المقدس[(١)].

يقوم المعترف التائب بممارسة هذا السر وفق طقس معين، وبشروط، وأن يكون على يد الكهنة، وتحت رعايتهم لأنهم (وكلاء أسرار الرب)، وقبولهم لتوبة المعترف علامة على قبول الرب ولهذا السر بركات وفوائد تحل على المتناول طالب الغفران من أهمها نيل الغفران واستحقاقه.

شروط المتقدم للتناول من سر الأقداس (الأفخارستيا) [(٢)]:

١ – محاسبة النفس عما ارتكب من رذائل، وعما نقصه من فضائل.

٢ – مراجعة الضمير، من جهة حفظ الوصايا، وإتمامها بأمانة، وتنفيذ شرط المحبة لله وللقريب.

٣ – التوبة الصادقة والإقلاع عن الخطايا، وكراهيتها، والهرب من أسبابها، والاعتراف بها بصدق وصراحة، والعزم على طاعة أب، الاعتراف لإصلاح السيرة والسريرة، والصلح مع الإخوة، ورد الحقوق للغير.

٤ – تلاوة الصلاة التي تسبق التناول.

٥ – الصوم إذا لا يتناول أحد القربان إلا وهو صائم نقي.

---

(١) انظر: عقائدنا المسيحية (٣٢٨)، موسوعة طقوس الكنيسة (٢/٨٥)، الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه (٥٩٢ – ٥٩٣).

(٢) انظر: موسوعة طقوس الكنيسة (٢/٩٧ – ٩٨)، عقائدنا المسيحية (٣٣٢)، التوبة والاعتراف (١١٦ – ١٢٠)، الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه (٥٩٤ – ٦٠١).

٦ — الامتناع عن العلاقات الزوجية لمدة ثلاثة أيام.

٧ — اجتناب المحادثة الباطلة.

٨ — التقدم للسر بهيبة وخشوع واتضاع.

٩ — تقديم الشكر لله قبل وبعد التناول.

١٠ — الاحتراس من الخطأ باللسان والتدرب على حفظ الحواس.

فوائد هذا السر وفاعليته على المتناول(١):

١ — الثبات في المسيح، وبالتالي يتغلب المؤمن بنعمته وقوته على كل الخطايا، والشهوات الجسدية والنفسية.

٢ — يُطهر النفس، ويجعلها تتمتع برحمة الله، وغفران الخطايا.

٣ — يعطي حياة جديدة، فمن لا يتناول فهو ميت.

٤ — يقوي الإرادة، وينعش النفس فهو غذاء لها.

(١) انظر: عقائدنا المسيحية (٣٣٣ — ٣٣٤)، موسوعة طقوس الكنيسة (٩٩/٢ — ١٠١)، ريحانة النفس (٧٨ — ٩٨)، عقائد الخلاص والفداء والكفارة (٢١٣)، العقيدة المسيحية الأرثوذكسية (١٢٦ — ١٢٨)، الروحانية الأرثوذكسية (١٧٤ — ١٧٨)، التوبة والاعتراف (١١٦ — ١٢٠)، الصعود والكهنوت المسيح، د. نصحي عبد الشهيد بيت التكريز لخدمة الكرازة، ٢٠٠٨م ص(١٨)، الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام (٦٠٠)، مقارنة الأديان للساموك (١٣٦)، مصادر الديانة النصرانية (٩٦٣/٢)، اليهودية، أحمد شلبي (٢٥٣)، دائرة معارف القرن العشرين (٢١٣/١٠)، مقارنة الأديان للخطيب (٣٤١ — ٣٤٣)، عقيدة الخلاص في الديانة النصرانية (١٨٢ — ١٨٤)، الموسوعة الميسرة في الأديان (٥٧٦/٢)، اليهودية والنصرانية للخلف (٣٤٣).

٥ – يقاوم الضعف الجسدي، ويقي الروح من الأمراض الروحية والجسدية.

٦ – الاتحاد مع أعضاء الكنيسة في جسد واحد، وذلك لأن طقس هذا السر يمارسه المعترف في الكنيسة؛ حيث يتناول الأسقف أولاً من السرائر المقدسة، ثم يعطي جميع القساوسة والشمامسة، وكل الشعب: الرجال ثم النساء، ليتناولوا فتحل عليهم بركة هذا السر.

يقول البابا شنودة الثالث عن فاعلية سر الأفخارستيا في الغفران: (هناك خلاص تناله في التناول من جسد الرب ودمه، إننا نقول في القداس الإلهي عن التناول: «يُعطي عنا خلاصًا وغفرانًا للخطايا وحياة أبدية لمن يتناول منه»، ولعل هذا مأخوذ من وعود السيد المسيح التي قال فيها: «من يأكل جسدي، ويشرب دمي، فله حياة أبدية... من يأكل جسدي، ويشرب دمي، يثبت فيّ وأنا فيه...» إذن هناك خلاص نناله في المعمودية، وخلاص نناله في التوبة والتناول، وما في التوبة من اعتراف بالخطايا...) [1].

ويقول الراهب فليمون: (أعطانا دواء آخر لمن أخطأ بعد تنقية المعمودية وتدنس بالذنوب، وهو القربان الذي يغفر الخطايا لمن يقربه بإيمان به أنه: جسد المسيح ودمه، إن ذبيحة الأفخارستيا هي بعينها ذبيحة الصليب، تتم تحت أعرض الخبز والخمر، وتقدم في كل يوم يقام فيه القداس استراحامًا واستعطافًا عن جميع خطايانا فالأفخارستيا شفاعة قائمة متصلة قائمة فينا عن الخطايا الفعلية التي قد نرتكبها بعد المعمودية ليعطينا بها خلاصًا وغفرانًا للخطايا، وحياة أبدية لمن يتناول منه) [2].

٦ – أداء الأعمال الصالحة:

إن من وسائل طلب الغفران أداء الأعمال الصالحة على اختلافها من صلاة، وصيام، وصدقة، وحج... وتقام بصورة مستقلة بقصد طلب الغفران، أو أن تكون من ضمن الطقوس

---

(١) بدعة الخلاص (٨١).

(٢) انظر: يعطى لغفران الخطايا (١٠٧ – ١١٠).

الرئيسة للأسرار الكنسية المتعلقة بطلب الغفران، كما جاء معنا في الوسائل السابقة.

ويرى أحبار النصارى ورهبانهم أن تحقيق الغفران من خلال الأعمال الصالحة لا يتم إلا بشرط «الإيمان» - أي الإيمان بكفارة وفداء المسيح – فأي عمل صالح يقام بقصد طلب الغفران من غير إيمان، فلا قيمة له، ولن يتحقق مراده بالغفران نظرًا لخلو عمله من القوام الرئيس لقبوله، وهو الإيمان بكفارة المسيح وفدائه.

فالأعمال الصالحة هي ثمرة الإيمان، ولا يتم الغفران والخلاص من الخطايا بسببها، ولكن لا يتم بدونها، فهي من يؤهل استحقاقنا للغفران؛ لأنها ضروريةٌ جدًا نظرًا لتوافقها مع أفكار الله[1].

إن النظر في قول أحبار النصارى ورهبانهم (بأن الغفران لا يتم بسبب الأعمال، ولا يتم الغفران بدون أعمال) دل على أن مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب، إذن فهذه الأعمال من وسائل نيل الغفران، وحتى تصح هذه الوسائل، فمن شروطها الإيمان، والتوبة، والمعمودية....

يقول القس بيشوي حلمي: (الأعمال الصالحة لازمة لنيل الخلاص، وعدم وجودها يدل على أن الأيمان ميت، ولكنها وحدها لا تكفي للخلاص بدون إيمان ومعمودية وتوبة يقول السيد المسيح: «فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته، وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله»[2]، و«تمموا خلاصكم بخوف ورعدة؛ لأن الله يعمل فيكم ليجعلكم راغبين وقادرين على إرضائه، واعملوا كل شيء من غير تذمر ولا خصام، حتى تكونوا أنقياء لا لوم عليكم، وأبناء الله بلا عيب»[3])[4].

وعن الأعمال الصالحة، ومرادها، وشروطها، وفاعليتها يقول الدكتور ميخائيل مكسي:

– **الصدقة**: وهي عمل الخير والبر والإحسان للغير بإطعام الفقراء، وتوزيع الأموال على

---

(١) انظر: غفران الذنوب. عوض سمعان (٤٧ – ٦٤)، الذنب والمغفرة (١٤٨ – ١٥٤).

(٢) العهد الجديد. إنجيل متى (١٦: ٢٧) ص(٤٦).

(٣) العهد الجديد. رسالة إلى الكنيسة فيلبي (٢: ١٢ – ١٥) ص(٤٩٦).

(٤) عقائدنا المسيحية (٢٨٩ – ٢٩٠).

المساكين والمحتاجين... والعطاء تحرر من سلطان حب الامتلاك، ومحبة الذات، ومفهوم العطاء ليس إعطاء المال فقط، وإنما عطاء كل شيء مادي وروحي ومعنوي، ومن بركات العطاء كما جاء في الكتاب المقدس: «فارق خطاياك بالبر وآثامك بالرحمة للمساكين»[1].

«اعطوا ما عندكم صدقة، وهوذا كل شيء يكون نقيًا لكم»[2].

- ولقبول الصدقة شروط:

١-أن تكون في الخفاء.

٢-أن تكون بسرور.

٣-أن تكون بسخاء.

٤-أن تكون من أفضل شيء.

٥-المهم النية، وليس الكمية.

- **الصوم**: وهو إغلاق الفم عن الكلام والطعام والشراب ابتداءً من منتصف الليل حتى ساعة يحددها أب الاعتراف والصوم بدون التوبة مرفوض من الله.

الصوم وهو إغلاق الفم عن الكلام والطعام والشراب، ابتداءً من منتصف الليل حتى ساعة يحددها أب الاعتراف، والصوم بدون التوبة مرفوض من الله.

ولقبول الصوم لابد من شروط:

١ – ترك العادات الشريرة.

٢ – صوم من القلب ممزوج بالتوبة والتذلل لله.

---

(١) العهد القديم. سفر دانيال (٤: ٢٧) ص(١٢٦٩).

(٢) العهد الجديد. إنجيل لوقا (١١: ٤١) ص(١٨٦).

٣ – صوم مع عمل الخير.

٤ – رد الحقوق إلى أصحابها.

ومن بركات الصوم:

انسحاق القلب، وسلاح فعال لطرد الشياطين، اكتساب الفضائل.

– **الصلاة** وهي: الدعاء أو التوسل.

وهي ارتفاع العقل إلى الله، وسكب النفس أمامه، وعن الصلاة يقول الكتاب المقدس: «اسالوا تعطوا، أطلبوا تجدوا، اقرعوا يفتح لكم»(١).

ولقبول الصلاة ونيل فوائدها لابد لها من شروط:

١- أن تكون من قلب بار، وأن تقدم باسم المسيح: «الحق أقول لكم: إن طلبتم من الأب باسمي يعطيكم»(٢).

٢- وأن يطلب المصلي الروحيات لا الماديات: «اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه – الماديات – تراد لكم»(٣).

٣- وأن تكون الصلاة بتوبة مع عمل الخير: «توبوا وارجعوا لتمحى خطاياكم ولكي تأتي أوقات الفرج من عند الرب»(٤).

٤ – وأن تكون بقلب مؤمن واثق بالله، متضع منسحق له.

– **الشفاعة (الشفاعة التوسلية)**: وهي التقرب، والتوسط بين الرب والعبد، فأول شفاعة:

(١) العهد الجديد. إنجيل متى (٧: ٧) ص(١٧).

(٢) العهد الجديد. إنجيل يوحنا (١٦: ٢٦) ص(٢٨٤).

(٣) العهد الجديد. إنجيل متى (٦: ٣٣) ص(١٦).

(٤) العهد الجديد. أعمال الرسل (٣: ١٩) ص(٣٠٨).

شفاعة المسيح الكفارية على الصليب، والثانية الشفاعة التوسلية كشفاعة روح القدس ورجال الكهنوت، ومريم أم الإله، وتوجد هذه الشفاعة ضمن سر الكهنوت، وهو أحد أسرار الكنسية — يقام لتهيئة رجال الكنيسة للقيام بمهام الكهنة، وأعمال الكنيسة - والمراد بالشفاعة التوسلية هي مجموعة من الصلوات والتلاوات، والقربات يقدمها الشعب التائب لرجال الكهنوت والقديسين، أو الأم الإله، ولروح القدس، ليشفعوا لهم عند الرب ليغفر لهم خطاياهم، وتعرف هذه الشفاعة لدى رجال الكهنوت والقديسين بالشفاعة التوسلية.

ولفاعلية شفاعة القديسين لنيل الغفران لابد من شروط:

١ - أن تكون من أجل المستحقين لها، فلا شفاعة من أجل أشرار مصرين على عدم التوبة.

٢ - وأن تكون من أجل أمور روحية لا مادية.

٣ - اتضاع الخاطئ، أي: شعور الخاطئ بأنه ليس أهلاً أن يقف أمام الله مباشرة، ولذلك يطلب صلوات القديسين[١].

ومما يؤكد أهمية الأعمال الصالحة كوسيلة من وسائل نيل الغفران، يقول القس سعيد ميخائيل: (الصلاة هي درع النفس ذبيحة لله مقرعة للشيطان... والصلاة الحقة هي محادثة النفس المؤمنة مع الله رأسًا هي رغبة صادقة أرسلت نحو الله، ومعها يصعد الخشوع والتعبد والاعتراف بالخطيئة، وطلب الرحمة)[٢].

ويقول القس بنيامين شنيدر: (إن تعليم الرسل... قرنوا الصوم بالصلاة في بعض أحوال

---

(١) انظر: موسوعة الطقوس الكنسية (٤/٣٤ — ٤٩)، وللاستزادة انظر الصلاة الفعالة الملتهبة (٢٤ — ٣٦)، مقارنة الأديان للخطيب (٣٤٧ — ٣٥٧)، قصة الحضارة (١١/٢٨٢ — ٢٨٥)، العبادات في الأديان السماوية (١٥٢ — ٢٠٠)، محاضرات في النصرانية (١٠٤ — ١٠٧)، الموسوعة الميسرة (٢/٥٧٦).

(٢) كيف تدع الهم وتعيش سعيدًا. سعيد ميخائيل. مكتبة المحبة. القاهرة، ٢٠٠٩م ص(٨٧).

مهمة، فيكون تعليم العهد الجديد في هذا الصدد أن الصوم متى حفظ بطريقة لائقة، ونية خالصة، يكون مفيدًا... فإن الامتناع عن الأكل المصحوب بالتواضع مع الصلاة لنوال المغفرة والنعمة مفيد، ومطابق لكلام الله؛ لأنه بذلك يصير العقل به أكثر استعدادًا للتأمل في الأمور السماوية والقلب منسحقًا وحزينًا على الخطية...) [1].

ويقول القديس يوحنا ذهبي الفم: من طرق التوبة التواضع، مثل: الفريسي، والعشار...، ومن طرق التوبة الصدقة، فإن لها إمكانيات لا نهاية لها، وأجنحة تخترق الهواء، فلا يوجد في القلوب العلوية من يعترضها أنها تطلب أن يوفى ما علينا من دين، فأياً كانت خطايانا تستطيع أن تلاشيها بالصدقة...، ومن طرق التوبة الصلاة، فصلوا كل حين بلا انقطاع، تضرعوا بمثابرة إلى المراحم الإلهية، فالله لا يرفض ويرد من يثابر، ويواظب على هذا، بل يمنحه مغفرة خطاياه، ويستجيب صلواته[2].

ومن الأعمال الصالحة التي تُعد وسيلة للغفران لدى النصارى **الحج**، ويراد بالحج في عرف النصارى هو الرحلة إلى مراقد القديسين، وزيارة إلى مكان مقدس آخر، وذلك لأجل الحصول على المساعدة الروحية، أو لأجل القيام بصيام التشكر، أو القيام بفعل تكفيري، وهي عقوبة ذاتية ينزلها الأثم بنفسه، وبتوجيه من الكاهن، وهكذا أصبح الحج عند النصارى بمعنى: القصد إلى مكان تقدس بظهور رباني تجلت فيه القدرة الإلهية، متمثلاً بكنيسة، أو قبر، أو مشهد لقديسيهم، وهم يرجون من الحج التكفير من الذنوب، أو للشفاء من المرض، أو الحصول على فضائل، ومن أهم الأماكن التي يرتادونها جبل صهيون، بالإضافة إلى زيارة روما التي تحوي قبر القديس بولس،

---

(١) ريحانة النفوس (٤٤ – ٤٥)، وللاستزادة. انظر: الأسرار الروحية في شرح عقائد وطقوس الكنيسة القبطية الأرثوذكسية. الشماس دانيال جندي تكلا. مطبعة الآداب الحديثة. مصر (ط١)، ١٦٥٠هـ / ١٩٣٣م، ص(٤٠ – ٤٦).

(٢) انظر: التوبة للقديس يوحنا ذهبي الفم (٣٩ – ٥٧).

وبطرس، وكل ذلك لأجل الحصول على الغفران، وتقوية الروح المعنوية وشدها[1].

– **القربان المقدس**[2] (ذبيحة القداس الإلهي)، ومادة هذه القرابين (الخبز والخمر)، يطلق عليها في الديانة النصرانية: (ذبيحة القداس الإلهي، قرابين الآثام) يقدم هذه القربان في الكنيسة أثناء أداء طقوس سر الأفخارستيا، وضمن شعيرة (القداس[3] الإلهي)، وتعتبر هذه الذبيحة من الأعمال التي تقدم لله كأعظم تمجيد ممكن، ليعطي الأرواح البشرية الراحلة العون والراحة، وليحفظ الأرواح الباقية في هذا العالم من غضب الله؛ لأن خلاص العالم يتوقف على هذه الذبيحة، فالعالم مدين في حفظه إلى ذبيحة القداس التي بدونها خطايا البشر كافية لتحطيم كل شيء في العالم.

ويعتبر تقديم هذا القربان المقدس في القداس الإلهي كقربان مُعينٍ على التوبة؛ لإظهار شرور الآثام المرتكبة في حق الرب، وبيان الحاجة إلى التكفير عنها، وتأكيد الغفران، ويقدم هذا القربان المقدس (الخبز والخمر (والماء)) ضمن ترانيم، وصلوات استهلالية تتلى في مستهل القربان المقدس، لهذا من الضروري على المتقدم في القداس الإلهي للتناول من ذبيحة القداس أن يكون مستعد روحيًا بالتوبة، والاعتراف بالخطايا، إذ إن عظمة هذا القداس، وهذا التناول من ذبيحة القداس، تقتضي تهيئة النفس وإعدادها، وفحصها فحصًا دقيقًا.

٧ – صكوك الغفران[4]:

---

(١) انظر: مقارنة الأديان للخطيب (٣٥٧)، العبادات في الأديان السماوية (١٩٥ – ١٩٦)، مصادر الديانة النصرانية (٩٤٧/٢).

(٢) انظر: موسوعة الطقوس الكنيسة (٨٥/٢ – ١٠١)،(١٠/٣، ١٨ – ٢٠٠، ٤١ – ٤٢)، قاموس الأديان الكبرى الثلاث (٥٤٢).

(٣) (القداس الإلهي) هي شعيرة دينية لطقس ديني يتمثل بصلوات، وتلاوات تنتهي بالتناول من ذبيحة القداس، والتي = = هي عبارة عن خمر وخبز، تعبيرًا عن ذبيحة الفداء التي قام بها عيسى – عليه السلام –، والتي كانت هي أيضًا تعبيرًا وعوضًا عن الذبائح الدموية التي كانت تقام في الديانة اليهودية وأهم يوم يقام فيه القداس الإلهي لتقديم هذه الذبيحة هو يوم الأحد، وأيام الصيام. انظر: موسوعة طقوس الكنيسة (٦/٣ – ١٩).

(٤) انظر: مصادر الديانة النصرانية (٨٢٩/٢، ٩٤٥ – ٩٥٢)، اليهودية لأحمد شلبي (٢٥٤)، الخلاص من الخطيئة في

قرر المجمع المسكوني الثاني عشر، والذي عقد في روما سنة ١٢١٥م، أن الكنيسة الكاثوليكية تملك حق الغفران، تمنحه لمن تريد، وتمنعه عمن تشاء.

يقوم الخاطئ الراغب بالتوبة طلبًا للغفران بالاعتراف بالذنوب والخطايا أمام القس، أو الكاهن في الكنيسة، ثم يمسحه هذا الكاهن فتغفر ذنوبه، ثم تطور الأمر بعد ذلك لتصبح هذه المغفرة في القرن السادس عشر تمنح بصكوك تباع وتشترى بالمال، ولها باعة متجولون في الطرقات؛ مثل أي سلعة معروضة في الأسواق، وبالصك فراغ تُرك ليكتب به اسم الذي سيغفر ذنبه، وبهذا الصك ستغفر جميع ذنوب المشتري ما تقدم منها، وما تأخر.

وكان هذا الصك عبارة عن وثيقة تُمنح من الكنيسة الرومانية الكاثوليكية مقابل مبلغ مادي يدفعه الشخص للكنسية تختلف قيمته باختلاف الذنوب، وذلك بغرض الإعفاء الكامل، أو الجزئي من العقاب على الخطايا، والتي تم العفو عنها، وقد استندت الكنيسة لهذا المعتقد (صكوك الغفران) كوسيلة من وسائل الغفران لعدد من النصوص، منها:

«أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة ابنِ كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها، وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطًا في السماوات، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السماوات»[1].

ولما كانت الكنيسة تعتبر نفسها وارثة لبطرس، ورثت أيضًا عنه هذا السلطان، يقول يوحنا بأن المسيح قال لتلاميذه «من غفرتم للناس خطاياه تغفر له، ومن أمسكتم خطاياه، أمسكت»[2].

مفهوم اليهودية والمسيحية والإسلام (٤٤ – ٤٥)، قصة الديانات (٤٤٩ – ٤٥٤)، تحريف رسالة المسيح (١١٩ – ١٢١)، محاضرات في النصرانية (١٥٧ – ١٥٨)، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية للخلف (٣٤٤)، عقيدة الخلاص في الديانة النصرانية (١٨٧ – ١٨٨)، اختلاف النصارى في معبودها ونبيها ودينها، د. سعيد عبد العظيم دار القيمة، دار الإيمان، الإسكندرية، ٢٠٠٦م، ص(٨٢).

(١) العهد الجديد. إنجيل متى (١٦: ١٨ – ١٩) ص(٤٦).

(٢) العهد الجديد. إنجيل يوحنا (٢٠: ٢٣) ص(٢٩٦).

فقد ورثوا دور المسيح الوسيط الذي وصفه بولس: «يوجد إله واحد، ووسيط واحد بين الله والناس: الإنسان يسوع المسيح»[1].

لهذا كان لدى البابا، وجميع رجال كهنوته قائمة كاملة بجميع الخطايا التي قد يرتكبها البشر، وعقاب كل خطيئة.

وقد كانت هناك خطايا يستطيع الآثم فيها أن ينال الغفران عنها بالتوبة.

ولكن كانت هناك خطايا لابد فيها للمذنب من أن تحل به اللعنة، فكان شراء الغفران حلاً لمثل هذه الخطايا تحت مسمى صكوك الغفران.

إن جميع الوسائل السابقة لنيل الغفران هي وسائل متعلقة بذنوب الأحياء من النصارى، لهذا فقد شرعت الديانة النصرانية على يد أحبارها ووسائل أخرى لنيل الغفران عن الأموات حيث إن منهم ممن مات وعليه خطايا لم يتب منها؛ لهذا فقد وضع أحبار النصارى ورهبانهم وسائل لتكفير ذنوب الأموات ليحل عليهم الغفران في حياتهم الأخرى، وقد وقفت على وسيلتين من وسائل الغفران الخاصة بالأموات، الأولى منها:

١ - المطهر[2]: يعتقد النصارى الكاثوليك بعقيدة (المطهر)، والمراد بالمطهر: (هو مكان أو حالة من العقوبة الزمنية تقضيها النفوس التي ماتت في نعمة الله تكفيرًا عن ديون الخطايا العرضية التي ماتت وهي مثقلة بها، أو العقوبات الزمنية التي لم تستوفَ على الأرض، والمترتبة على الخطايا المميتة المغفورة من جهة الذنب؛ حيث تتطهر النفوس بالعذابات المطهرية فترة زمنية تطول أو تقصر، بحسب ديونها، وبحسب المساعدات التي تتلقاها من الكنيسة المجاهدة، أو المنتصرة، عن طريق الصلوات والغفران - صكوك الغفران - وزوائد فضائل القديسين - الشفاعة - وبمجرد أن تستكمل النفوس عذاباتها المطهرية تنتقل إلى السماء مباشر لتنضم إلى القديسين، وتنعم معهم

(١) العهد الجديد. رسالة الكنيسة تيوثاوس الأولى (٢: ٥) ص٥٢٤).

(٢) انظر: حالة أرواح الراقدين (٦٨ - ٧٠)، لماذا نرفض المطهر. البابا شنودة الثالث. الأنبا رويس. العباسية (ط٧) ٢٠٠م ص(١٠ - ٢٠)، دائرة معارف القرون العشرين (٢١١/١٠)، قاموس الأديان الكبرى الثلاث (٦٢٢).

بالفرح الدائم والسعادة الكاملة)[1]. وهذه العقيدة في التكفير عن خطايا الأموات منهم، لا يؤمن بها سوى النصارى الكاثوليك فقط.

٢ – آكل الخطيئة:

والمراد بآكل الخطيئة: (هو رجل يؤجر ليأخذ على عاتقه خطايا آخر ميت، بأن يأكل خبزًا وملحًا، ويشرب في الجنازة بالقرب من جثة الآخر الميت)[2].

المبحث الثاني

لوازم طلب الغفران عند النصارى

للغفران آثار وبركات عدة، من أعظمها غفران ومحو جميع الخطايا، وغيرها من البركات والآثار، سيأتي الحديث عنها بالتفصيل في المبحث التالي – بإذن الله – ولكن لكي ينال التائبون من النصارى هذه البركات والآثار، لابد من قيامهم بوسائل الغفران التي تحدثنا عنها في المبحث السابق، وقبل ذلك لابد لهذه الوسائل عامة من لوازم يستوفيها طالب الغفران قبل أن يقوم بتلك الوسائل؛ لينال ما يصبو إليه من ورائها.

فوجود هذه اللوازم لدى الخاطئ الراغب بالتوبة والغفران دلالةٌ صريحة على صدقه فيما يطلب، ويسعى إليه.

وتتمثل هذه اللوازم في الإيمان الحقيقي بعقيدة الصلب والفداء، محاسبة النفس، معرفة مدى سوء الخطيئة وجرمها في حق قداسة الرب، مجاهدة النفس، الندم، الخجل، صدق النية، الاستمرارية

---

(١) حالة أرواح الراقدين (٦٨ – ٦٩)، وللاستزادة انظر: المطهر (١٠ – ٢٠).

(٢) قاموس الأديان الكبرى الثلاث (٧٢٠).

في الرغبة بالتوبة، أن تكون التوبة عامة عن جميع الخطايا دون تخصيص بخطيئة معينة، أو بزمن معين، أو بمكان معين، ممارسات الأسرار بترتيبها الوارد عن الكنيسة، ملازمة الاستقامة، وتقبل العقوبات التي تفرضها عليه الكنيسة عقابًا على خطيئته بصدر رحب ورضا... والشواهد على ذلك كثيرة في كتب الأحبار والرهبان، يقول القديس الأنبا ساويرس عن تلك اللوازم: (أن الواحد منا متى ندم على ما سلف منه من الخطايا التي هو مستحق بسببها ميتات كثيرة، وحضر إلى الكاهن الذي على يده يظهر المسيح، وقص عليه خطاياه... وأخذ من فم الكاهن بدل المسيح الناطق من جهته، عقابًا يعاقب به نفسه، عن تلك الخطايا، كالعقاب الذي كان سكان الجحيم معاقبين بها عن خطاياهم، حينئذ بعد قبوله تلك العقوبة من فم الكاهن، بإيمان وتصديق وطاعة للذي صلب عنه حينئذ يدفع المسيح نفسه للموت عنه، ويهرق دمه في كل الصينية والكأس، كما فعل في ذلك الزمان، فيحمل عنه كل الميتات التي هو مستحقها، كما احتمل ذلك الزمان، ومن أجل هذا سمى (حامل خطايا العالم) لأنه يموت، ويهرق دمه عن خطاياهم، ويحتمل الميتات الكثيرة الواجبة عليهم بسبب خطاياهم الكثيرة)[1].

ويقول القمص بيشوى وديع عن تلك اللوازم: هناك مداخل أساسية للتوبة:

أولاً: لابد من الندم والحزن المقدس على الخطيئة، فعلى التائب الحقيقي المعترف بخطاياه في سمع الكاهن أمام الله أن يكون اعترافه مصحوبًا بالحزن والانسحاق – الخجل –، ومشاعر الندم... ليس حزنًا رديئًا يحطم نفسه، ويهدم معنوياته، ويصيبه بالإحباط؛ بل بالعكس الحزن الداخلي الإيجابي المصحوب بالرجاء والثقة في نوال أفراح التوبة والخلاص.

ثانيًا: الجلوس إلى النفس ومحاسبتها في هدوء، ومراجعة حياته الماضية قبل الاعتراف، لتنكشف أمامه كل السقطات والمعاثر التي وقع فيها، وذلك ليشعر في أعماقه أنه قد أغضب الرب، وتعدى على شريعته، فيقوده ذلك إلى الخجل الشديد مما فعله.

---

(١) ذبيحة الاعتراف. للقديس الأنبا ساويرس. إصدار أنباء البابا كيرلس السادس. القاهرة، ٢٠٠٢م ص(٢٦ – ٢٧).

ثالثًا: انسحاق النفس – الخجل – وانسكاب القلب أمام الله ليتأمل في محبة الله للخطاة ومواعيده الكثيرة لتشجيع التائبين، ولينسكب القلب أمام الله بروح الخشوع ليطلب نعمة الرب حتى يتقوى على الدنو منه.

رابعًا: الاعتراف الشفوي أمام الكاهن ليجدد العزم على ترك الخطيئة، وعدم الرجوع إليها، حتى ينال الحل من الكاهن بالسلطان المعطى له من الله، ومن ثم يخضع للتأديبات الكنسية، ويمارس التداريب الروحية النافعة لنموه[1].

وعن تلك اللوازم يقول الباب شنودة الثالث: هناك قواعد عامة في طريق التوبة تناسب الكل ومن أهمها:

- اجلس مع نفسك، وحاسبها لتدرك حالتك، وتعرف أخطاءك.

- لا تلتمس لنفسك الأعذار والتبريرات؛ فالأعذار لا تتفق مع حياة التوبة، والتبريرات محاولة لتغطية الخطيئة، وفي ذلك كله تسهيل على الخاطئ أن يستمر في خطيئة.

- بادر إلى التوبة ولا تؤجلها، فمن مراحم الله على الخطاة أنه يقدم لهم فرصًا كثيرة لكي يتوبوا، فلا تضيع منك هذه الفرصة، فقد لا تجد فرصة أخرى.

- احرص على التوبة، وأبعد عن الخطيئة حتى لا يقسو قلبك.

- ابعد عن العثرات الداخلية من (يأس، وشهوة...)، وخارجية بمجالسة الأشرار ومعاشرات رديء الأخلاق.

- لا تتساهل مع الخطيئة حتى لا تتحول إلى عادة، أو طبع، فالتساهل مع الخطيئة إنما هو تساهل في حقوق الله.

- اهتم بمحبة الله، لتطرد منك محبة الخطيئة، وصارع مع الله، وخذ منه قوة لكي بهذه القوة

---

(١) انظر: تائب ومعترف (١٧ – ٣٥) وللاستزادة انظر: الطريق الروحي (٥٢ – ٦٣)، عظمة المخلص (٨٨).

تتوب[1].

ويقول القس ميساك: (لا يمكنك أن تخلص إلا بالمسيح، ولا يمكن أن يخلصك المسيح، إلا إذا جاهدت بإيمان وأعمال، الإيمان بالمسيح، والأعمال هو الجهاد. والجهاد بحراسة الحواس، ومحاربة الخطيئة من أولها، وتجنب مصدر العثرة بالمعاشرات الرديئة المفسدة للأخلاق الحميدة، والعيش في جو روحي بالاستعانة بالصلاة، والصوم، والاعتراف المنتظم، والتناول من جسد الرب ودمه)[2].

ويقول حبيب جرجس: (تب، واندم على ما فعلت، وكن واثقًا أن الرب يقبل بفرح جميع التائبين إليه، اقترب إلى الله، واعرف ذنبك، وكيف أهنت القدوس، وأسخطته بإثمك، تأسف واحزن، وتقدم إلى التوبة بقلب منكسر، وروح منسحق؛ لأن القلب المنسحق لا يرذله الله، ابغض الخطيئة وامقتها، وابغض أسبابها وموجباتها وعلتها وكل ما يؤدي إلى طريقها، اعزم عزمًا ثابتًا على عدم الرجوع إلى الخطيئة، ولا تؤخر توبتك إلى وقت آخر لئلا يمضي الزمان ويدركك الموت، ولا تستعظم خطاياك ولا تستكثرها على رحمة الله، وتظن أنه لا يقبلك، فإنه من يُقبل إليه لا يطرده خارجًا؛ لأنه لم يأت ليدعو أبرارًا، بل خطاة إلى التوبة)[3].

ويقول القمص مرقس عزيز: (من الضروري للتوبة معرفة الفضائل والرذائل، حتى يعلم الإنسان من ماذا يتوب وبماذا يتمسك. وأن تكون التوبة بالنية والعقيدة لا مجرد اللفظ لأنها عهد، وأن لا تتعلق بزمان مخصوص، وأيام مخصوصة فإنها إن تعلقت بمدة معينة، فالنية معقودة بعد على معاودة فعلها. أن لا تكون التوبة محدودة بمكان معين، فمعنى هذا أن النية معقودة على أن الخطيئة في غير المكان المحدد بالإمكان الوقوع فيها، أن لا تكون مخصوصة بإنسان ما دون إنسان فهذه نية معقودة بالظلم. أن تتم التوبة لأنها مستحسنة لذاتها، لا لأجل مكافأة يكافأ عليها، أن لا تقع

---

(١) انظر: حياة التوبة والنقاوة ص(١٠١ – ٢١٨)، وللاستزادة انظر: بدعة الخلاص (٩٥ – ٩٧).

(٢) خطيئة الشهوة. القس ميساك جميل. تاتش برس (ط١) ٢٠١٠م ص(٤٣ – ٤٦).

(٣) سر التقوى (١٨٤ – ١٨٦)، وللاستزادة انظر: كيف تنتفع بكفارة المسيح (٦٧ – ٦٨).

التوبة خوفًا من العقاب الذي يستحقه، إنما تقع التوبة محبة في الله، وكراهية للمعاصي التي تخالف الشريعة) [1].

ويقول كولن اركهارت عن لوازم لما بعد الغفران: (يجب أن يتبع التوبة، وغفران خطايانا، وتسليم حياتنا إلى الله حياة خاضعة لمشيئته، وكذلك قرار الإيمان بيسوع، وبما فعله لأجلنا يجب أن يقودنا لأن نحيا حياة إيمان بعلاقة ثقة دائمة بيسوع) [2].

من هنا تبين أن لوازم الغفران، منها ما هو سابق لطلب الغفران، وذلك بالندم، والمحاسبة، والرغبة الصادقة بالغفران، وترك الخطيئة، والمبادرة إلى التوبة، ومنها ما هو في نفس وقت طلب الغفران، وبعده من الإيمان، والرغبة الصادقة بالنقاء والملازمة بممارسة أسرار وطقوس الغفران، والخضوع والطاعة لما يمليه الكاهن عليه من عقوبات وتدريبات روحية، ومن عزيمة وإصرار على عدم العودة للخطيئة، ومجانبة معاشرات أصحاب السوء، والرجاء برحمة الله، وعدم استعظام الخطايا، وبغضها ومجانبة أسبابها، وطرقها، والالتزام بحياة الاستقامة، والأعمال الصالحة ليعيش حياة التوبة، والنقاوة حياةً عامرة بالغفران وبركاته.

---

(١) التوبة والاعتراف (٣٨).

(٢) الخلاص الحقيقي (٤٣).

المبحث الثالث

آثار نيل الغفران لدى النصارى[1]

تُعرف آثار نيل الغفران لدى النصارى بنتائج نيل الغفران، بركات نيل الغفران.

وتنقسم إلى بركات وآثار خارجية، وبركات داخلية.

بركات وآثار خاصة وقاصرة على طالب الغفران، وبركات وآثار متعدية متعلقة بطالب الغفران مع الرب، أو مع من حوله.

(١) أن ما سيرد ذكره من آثار على من طلب الغفران تحت مسمى بركات إنما هي مزاعم يزعمها رجال الدين النصراني لجذب العوام وخدعهم ولاستغلالهم وتحقيق المكانة الاجتماعية بين المجتمع النصراني.

فعن ما يولده الغفران والتوبة من آثار على التائب يقول البابا شنودة الثالث: التوبة تلد داخل القلب محبة جبارة نحو الله، ليكون التائب بذلك مستعدًا لبذل نفسه من أجل الله، فالتوبة تفتح عين التائب على حياة جديدة، وتشعره بقوة فيه، ما كانت عنده قبلاً فيركض ولا يتعب، ويمشي ولا يعي، ليسير بهذه القوة في الحياة الفاضلة التي تختفى فيها شهوة العالم والجسد والخطيئة، وتصبح شهوة القلب مقدسة في حياة البر، ومحبة الله عاملاً بالفضيلة بدون جهاد مالكًا السلام في قلبه راحته في الله، وشهواته في الله، وسعادته فيه أنها حياة النقاوة[1].

ويقول القمص مرقس عزيز خليل: من بركات التوبة محو الخطيئة، ومسحها تمامًا من سجل حياة المؤمن حتى لا يذكرها الله له، كذلك التطهير من نجاسة الخطيئة والتبرير منها، أيضًا خلاص النفس في يوم الرب، والتمتع برجاء الحياة الأبدية في المسيح، والنجاة من الدينونة، والمصالحة مع الله[2].

أيضًا يحدثنا القمص زكريا بطرس عن بركات الغفران، فيقول: من بركات التوبة هبة الغفران من الرب عندما نتقدم له بالتوبة الصادقة؛ ليفتح لنا أحضانه، ويغفر لنا آثامنا، ومن بركاتها عمق السلام الذي يحصل عليه التائب، فما عاد يضطرب من جهة خطاياه؛ لأنها مغفورة، ومن جهة أبديتها فهي في يد الله مضمونة ليغمر بذلك السلام قلب التائب، ومن بركات الغفران شرف البنوة فياله من شرف أن يرضى أن يدعونا الرب أحباءه، فبالتوبة يقبل الرب العبد، ويصيره ابنًا، ويخلع عليه هذا الشرف، ويصبح الرب له أبا مسئولاً عن حياته، وتربيته، وتعليمه وإرشاده، ومن بركات الغفران ميراث الأبدية، ويالها من هبة تفوق إدراك العقول!! إنها مسرة الله أن يهبنا الملكوت، فنصبح أبناء الله، ونصير بالطبيعة ورثة المجد العتيد[3].

ويقول القديس يوحنا ذهبي الفم عن آثار الغفران: هو ترياق صالح عالج الخطايا، وسلاح

(١) انظر: حياة التوبة والنقاوة (٢٤٣ – ٢٤٦).

(٢) انظر: التوبة والاعتراف (٣٤ – ٣٦).

(٣) انظر: الطريق الروحي (٨٠ – ٨٤) وللاستزادة انظر: قبول المسيح (١٣ – ٣٣).

مخيف ضد الشيطان، استأصل الخطايا من جذورها، ومنحنا الرجاء في الخلاص، كما منحنا مفاتيح السماء التي تتيح لنا الوصول للفردوس[1].

وعن آثار الغفران يقول حليم حسب الله في كتابه عظمة المخلص: «من نتائج الغفران السعادة والفرح: «طوبى للذي غفر إثمه، وسترت خطيئته» [2].

امتلأ القلب بالحب للرب: «غفرت خطاياها الكثيرة؛ لأنها أحبت كثيرًا» [3].

السلام مع الله، قال اليسوع للمرأة الخاطئة: «مغفورة لك خطاياك، إيمانك خلصك، اذهبي بسلام» [4].

مخافة الرب: «إن كنت تراقب الآثام يارب يا سيد، فمن يقف لأن عنده المغفرة لكي يخاف منك»[5].

الغفران لغيرنا: «كونوا متسامحين كما سامحكم الله أيضًا» [6])[7].

وقد بين مجموعة من الأحبار والرهبان بركات للغفران خارجية وباطنية، فقالوا عن ذلك:

- بركات الغفران الخارجية هي:

١ – الغفران بأن يصفح الله عن الخطايا، ولا يذكرها على الإطلاق، فتصبح كأنها لم

---

(١) انظر: التوبة ليوحنا ذهبي القم (١٥٢ – ١٥٣).

(٢) العهد القديم. سفر المزامير (٣٢: ١) ص(٨٥٣).

(٣) العهد الجديد. إنجيل لوقا (٧: ٤٧) ص(١٦٨).

(٤) العهد الجديد. إنجيل لوقا (٧: ٤٨ – ٥٠) ص(١٦٨).

(٥) العهد القديم. سفر المزامير (١٣٠: ٣ – ٤) ص(٩٢٦).

(٦) العهد الجديد. رسالة لكنيسة أفسس (٤: ٣٢) ص(٤٨٧).

(٧) عظمة المخلص وروعة الخلاص (٩٠).

تقترف بتاتًا.

٢ – التبرير وذلك بخلاص المؤمنين الحقيقيين من وصمة الخطايا، فيصبح التائب مقبولاً كليًا في نظر الله.

٣- التطهير بإزالة كل أثر للخطيئة عن المؤمنين الحقيقيين من أمام الله.

٤ – الصلح والسلام مع الله.

٥- الخلاص من الدينوية الأبدية، والحصول على امتياز التمتع بالله في سمائه إلى الأبد.

- وبركات باطنية، وهي:

١ – الولادة الروحية من الله، وذلك ببدء صفحة جديدة في الحياة بواسطة التوبة، والحصول على طبيعة روحية تؤهله للتوافق مع الله في صفاته الأدبية السامية.

٢ – الحصول على الروح القدس، وذلك بحلول روح القدس عليهم، ليبلغهم أقوال الله، ويعطيهم الغلبة على الخطيئة، ولأنهم – أي المؤمنين – بروح القدس يميتون أعمال الجسد، فينظم لهم تفكيرهم، ويهيئهم للسير في طريق الله في كل حين.

٣ – البنوة لله ليكون الرب لنا أبًا، معطيًا إيانًا بروحه طبيعته الأدبية السامية.

٤ – الحياة الأبدية، والصلة الحقيقية بالله، وذلك بما يهبه الله للمؤمنين من الحياة الروحية بمجرد إيمانهم وتوبتهم.

٥ – الاتحاد الروحي بالمسيح، وإدراك الحقائق الروحية، فبمجرد إيمانهم وتوبتهم يحل عليهم الروح القدس، ليقوي صلتهم بالله، فيصبحوا بمثابة أعضاء جسد المسيح من لحمه، ومن عظامه ليكونوا بذلك مدركين لمعنى حكمة الله، مهما سمت هذه الحكمة في أمور الله؛ إذ يتولد لديهم

إدراك لهذه الأمور بواسطة عمل روح القدس في أنفسهم[1].

أيضًا يقول د. ميخائيل مكسي عن أن للغفران آثارًا وبركات ينالها التائب نتيجة الغفران، وهي على النحو الآتي:

(١ – يولد ميلادًا جديدًا، ويكتب الله اسمه في سفر الحياة الأبدية.

٢ – يخصص له الرب ملاكًا حارسًا، يرعاه ويقوده في العالم، وفي الخطر ينقذه ويعينه.

٣ – يصير ابنًا لله ويستحق الميراث الأبدي إذا ما سار بالأمانة والتقوى، ويُصبح غراسًا جديدًا.

٤ – التبرير[2] وغفران الخطايا، والعتق من عقوبة الخطيئة، وعدم ذكر الله لها، والمصالحة مع الله، ونوال سلامه الداخلي.

٥- يعطي استنارة لذهنه وفهمه.

٦ – تُفتح له أبواب الفردوس، ويؤهل لملكوت السموات.

٧ – الراحة من الضيقات)[3].

خلاصة جميع آثار وبركات الغفران لدى النصارى تمثلت، وتركزت في النقاط التالية:

١ – الولادة الروحية الجديدة ليكون التائب بالغفران معتقًا تمامًا من الخطيئة بمحوها، وعدم تذكير الله له بها، وليس هذا وحسب، بل وحلول روح القدس إليه؛ ليكون له معينًا في كل حين،

---

(١) انظر: الخلاص الحقيقي (٦١ – ٧١)، عظمة المخلص (٩٧ – ١٤٨)، غفران الذنوب فلسفة الغفرن (١٥٠ – ١٦٢)، يعطي الغفران الخطايا (١٥١)، الذنب والمغفرة (١٣٧ – ١٤٠).

(٢) التبرير هو انتهاء مشهد الخطيئة تمامًا، واعتبار المؤمن كأنه لم يفعل خطيئة، ليس ذلك فقط، بل قبوله أمام الله قديس، وبلا لوم ليصير بذلك نظير المسيح تمامًا. انظر: عظمة المخلص وروعة الخلاص (٩٧)، الخلاص الحقيقي (٦١).

(٣) موسوعة طقوس الكنيسة القبطية (٢/٤٥، ٦٨)، (٣/١٢).

وحاميًا لفكره وجسده وروحه من دنس الخطيئة.

٢ – حصول السلام الداخلي مع نفسه، والخارجي مع الرب بمصالحة الرب له.

٣ – الخلاص من العقوبات في حياة الدينوية، وفتح أبواب السماء له، بل وامتلاكه لمفاتيح السماء، وانفتاح أبواب الفردوس له للتمتع بحياة السماء الأبدية.

٤ – نيل شرف البنوة الإلهية ليكون التائب بنيله للغفران بمثابة الابن لله المساوي لعيسى – عليه السلام –.

٥ – التنعم بحياة النقاوة المفعمة بالفضيلة، والأعمال الصالحة.

٦ – الاتحاد الروحي بالمسيح، وإدراك الحقائق الروحية، ومعاني حكمة الله في أموره مهما سمت.

الفصل الرابع

موقف فرق وطوائف النصارى من الغفران

الفصل الرابع

موقف فرق وطوائف النصارى من الغفران

يعتقد جميع النصارى على اختلاف فرقهم وطوائفهم أن غاية الديانة النصرانية منح الغفران للإنسان ليتحقق له الخلاص نفسًا وجسدًا من حكم الشريعة الإلهية، ومن سلطة الخطيئة ومحبته لها، وجعله يحيا حياة مقدسة تنتهي بالحياة الأبدية السماوية.

ولمنح هذا الغفران للإنسان يعتقد النصارى بأنه لابد له من وسائط عظمى[1]، وفي الوقت نفسه هي وسائل، ولوازم ليحصل كل خاطئ تائب على الغفران، فلابد له من أن يعتقد ويدين بهذه الوسائط العظمى، والتي هي: الإيمان بعقيدة التجسد والصلب والفداء والكفارة.

فالإله من رحمته وعدله بالبشرية، ومحبته لهم، ورغبته بمنحهم الغفران عن خطيئة أبيهم آدم – عليه السلام – التي ورثوها عنه، وبدون أن يخل بمبدأ عدله ورحمته؛ لهذا اختار أن ينزل ابنه الوحيد ليتجسد في جسد ناسوتي، وليصلب فداءً وكفارةً عن الخطيئة الأولى، وليفتح بذلك أمام البشرية باب المصالحة والغفران.

فالإيمان بهذه الوسائط العظمى (تجسد، صلب، فداء، كفارة) يُجمع عليها جميع النصارى بلا خلاف بينهم عليها، أو على آثارها فيما يتعلق بالغفران، ولكن هناك من الطوائف النصرانية من اقتصرت على الإتيان بهذه الوسائط لنيل الغفران عن ذنوبهم، وخطاياهم التي اقترفوها، وهي لطائفة (طائفة البروتستانت).

إذ إن الطائفة النصرانية البروتستانية ترى أن الخلاص من الخطايا، ونيل الغفران حاصل بمجرد الإيمان وحده، ومرادهم بالإيمان كما يقول البابا شنودة الثالث عنه: (هو شعور في القلب، يرون أنه يمكن أن يتم في لحظة، وبالتالي يمكن للإنسان أن يخلص في لحظة، طبعًا بدون كنيسة، ولا أسرار، ولا معمودية، ولا كهنوت...)[2]. إذن فالطائفة البروتستانية تنكر معظم وسائل الغفران التي ورد ذكرها في مبحث وسائل الغفران (سر الأفخارستا، الاعتراف، المسحة المقدسة، الأعمال الصالحة، صكوك الغفران، التعميد) فهم يرون أن وسيلة الغفران الوحيدة هي بمجرد الرغبة في التوبة، والإيمان، علمًا أنهم يقرون بالعشاء الرباني، ولكنهم يرون أنه معتقد للتذكير بصلب وفداء المسيح، ويؤمنون بالمعمودية، ولكنهم يعتقدون أنها طقس وعلامة للدخول في الديانة النصرانية، أما

---

(١) يطلق رجال الدين النصراني عليها وسائط عظمى وما هي في الحقيقة إلا شركيات ووثنيات .

(٢) بدعة الخلاص في لحظة (٣٨).

سائر الوسائل الأخرى لنيل الغفران، فالبروتستانت لا يرون صحتها، بل وينكرونها.

ويحصر البابا شنودة الثالث نقاط الاختلاف فيما يتعلق بالغفران بين الأرثوذكس والكاثوليك، وبين البروتستانت فيقول: (خلافاتنا مع البروتستانت كثيرة بعضها في العقيدة والإيمان، وبعضها في الطقوس، والبعض الثالث في النظام الكنسي، وفي أمور العبادة... وأهم الخلافات بيننا وبين البروتستانتية ما يلي:

- عدم إيمانهم بأسرار الكنيسة السبعة، وإن وجد عندهم شيء من ذلك لا يسمونه سرًا، كالمعمودية عندهم، ولكنها ليس سرًا كنسيًا بكل فاعليتها، يسمونها فريضة.

- لا يؤمنون بالتقليد أو التسليم الرسولي، فلا يقبلون كل القوانين الكنسية، ولا المجامع المقدسة وقراراتها، ولا يلتزمون بتعاليم الآباء، وبالتالي لا يقبلون كل ما قدمه التقليد من نظم الكنيسة.

- لا يقبلون الكهنوت فهم ينادون بكاهن واحد، وهو يسوع المسيح، دون أي كهنوت للبشر، ومن يُدعى (قسًا) من الطوائف البروتستانية، لا يقصد به أنه كاهن، إنما هذا لقب يعني عندهم أنه خادم أو راع، أو معلم، وليس كاهنًا يمارس الأسرار الكنسية؛ لهذا لا يؤمنون برئاسة الكهنوت؛ لأنهم لا يؤمنون بالكهنوت، ولا يؤمنون بسلطان كنسي.

- خلافات كثيرة في موضوع الغفران والخلاص، من أهمها التركيز فقط على الإيمان، وعدم الاهتمام بكل ما عداه، وهنا يعتمدون على عبارة «آمن بالرب يسوع فتخلص»[1]، ويرون أنه بمجرد إيمان الإنسان يخلص، في نفس لحظة إيمانه، وكأنهم بهذا ينكرون الأسرار اللازمة للغفران، والخلاص، مثل المعمودية والتوبة، وينكرون دور الكنيسة في موضوع الخلاص الذي يعتبرونه مجرد علاقة مباشرة مع الله.

---

(١) العهد الجديد. أعمال الرسل (١٦: ٣١) ص(٣٤٦).

– ومن ضمن الموضوعات التي هي مجال خلاف: مدى إمكانية هلاك المؤمن إذا ارتد، فيرون أن المؤمن لا يمكن أن يهلك مهما سقط...

– ومن الخلافات البارزة في موضوع الخلاص والغفران، مسألة الإيمان والأعمال، ففي تركيزهم على الإيمان يغفلون جانب الأعمال، وفي اهتمامهم بعمل النعمة — المحبة بين الرب وبينهم — ينكرون لزوم الجهاد.

– ينكرون الطقوس وهم ضدها، فلا يعترفون بالصلوات الطقسي، والطقوس التي تصاحب كل سر من أسرار الكنيسة وما إلى ذلك.

– خلافات في المعمودية، فيرون بلزوم المعمودية للأطفال، ولكن لا يؤمنون بكل فاعلية المعمودية، فلا علاقة للمحمودية بالولادة الجديدة، وبالتبرير وغفران الخطايا، فهي في معتقدهم اسم بلا مفعول؛ لأن كل ما ننسبه إلى المعمودية من فاعلية، ينسبونه كله إلى الإيمان.

– لا يؤمنون بالاعتراف على الآباء الكهنة من جهة؛ لأنهم لا يؤمنون أصلاً بكهنوت البشر، ومن جهة أخرى لأنهم يرون الاعتراف على الله مباشرة، ويتبع هذا طبعًا، أنهم لا يؤمنون بالتحليل الذي يقرأه الكاهن على رأس المعترف، ولا يؤمنون بسلطان الحل والربط جملة.

– لا يؤمنون بسر الأفخارستيا (العشاء الرباني)، فلا توجد في البروتستانيين قداسات، ولا ذبيحة إلهية، ولا يؤمنون باستحالة الخبز والخمر إلى الجسد والدم الأقدسين، وهكذا لا يوجد تناول من هذه الأسرار المقدسة، وكل ما يفعلونه لتنفيذ وصية الرب: «وأخذ خبزًا، وشكر وكسره وناولهم وقال: هذا هو جسدي الذي يبذل من أجلكم اعملوا هذا لذكراي»[1].

في نظرهم ما هو إلا احتفال في بعض المواسم، فيه كسر الخبز، لمجرد الذكرى، ويدعون ذلك فريضة، وليس سرًا كنسيًا.

---

(١) العهد الجديد. إنجيل لوقا (٢٢: ١٩) ص(٢١٨).

وهكذا فإنه لا يوجد مذبح في الكنائس البروتستانية؛ لأنه لا توجد ذبيحة باستثناء بعض فرقهم.

– لا يؤمنون بأصوام الكنيسة فقد يقبلون الصوم كعمل فردي في أي وقت، ولكنهم لا يوافقون على أصوام محددة في مواعيد معينة يصومها كل الشعب.

– لا يؤمنون بالصلاة على أرواح الموتى الراقدين فلا يطلبون الرحمة لنفس الميت ولا يصلون مطلقًا من أجل الميت، ولا يطلبون مغفرة، ولا يسألون الله من أجل أبدية هذا الذي انتقل.

– لا شفاعة في البروتستانية، فلا يؤمنون بشفاعة الملائكة، ولا العذراء، ولا القديسين ولا وساطة إطلاقًا لديهم بين الله والناس، وهذا يقود إلى نقطة أخرى، أو يتسبب عنها، وهي:

– عدم إكرم القديسين، ولا الملائكة، ولا أم الإله العذراء.

– لا صلوات في الكنيسة على يد رجال الكهنوت.

– ينكرون الأبوة الروحية، فلا يدعون أحدًا أبًا، ولا قسًا، ولا أسقفًا...

– ينكرون المسحة المقدسة (مسحة الميرون)؛ لأنك تنال الغفران والروح من الله مباشرة)[1].

وبذلك تبين أن البروتستانت يرون أن السبيل الوحيد لنيل الغفران هو بمجرد شعور الخاطئ بالرغبة في التوبة، والإيمان بعقيدة الصلب والفداء والكفارة، سيحصل على الغفران، وهذا على خلاف الطائفة الكاثوليكية والأرثوذكسية الذين يعتقدون بضرورة وجود الوسائط العظمى، وهي (الإيمان بعقيدة التجسد، والصلب، والفداء، والكفارة) والتأكيد على أهميتها في معتقد الغفران، وفي الوقت نفسه يرون بلزوم وسائط أخرى، ووسائل منظورة عظيمة، لابد منها لكل خاطئ تائب راغب بالغفران، أن يأتي بكل الوسائط العظمى غير المنظورة (الإيمان)، والعظمى المنظورة وهي:

---

(١) اللاهوت المقارن (١١ – ٢٠) وللاستزادة انظر: بدعة الخلاص (١٢ – ٢٠).

(التوبة، والأفخارستيا) الاعتراف، الأعمال الصالحة، دور رجال الكهنوت)، عدا (صكوك الغفران، المطهر) فإن الأرثوذكس تنكر هذه الصكوك ولا تؤمن بها بالرغم من أنها تؤمن بالدور والمكانة العظيمة لرجال الكهنوت في الكنيسة، ولكنها تنكر هذه الصكوك بحجة أنها وسيلة استغلال، وامتهان للشريعة النصرانية عامة، ولعقيدة وشريعة الغفران خاصة، وأنها باب مفتوح على مصراعيه للوقوع في الخطايا، والمبادرة إلى نيل الغفران عنها بهذه الصكوك، وترك غيرها من وسائل الغفران، كما أن الأرثوذكس تنكر معتقد (المطهر) لأرواح الأموات الذين فارقوا الحياة، وهم مثقلون بالذنوب بالتكفير عن خطاياهم بواسطة المطهر، وقد رفض الأرثوذكس هذه الوسيلة في منح الغفران للأموات؛ لأنها تتعارض مع كفارة المسيح، كما أنها ضد سر التوبة، وضد شفاعة رجال الكهنوت، وصلوات الأحياء عن أرواح الراقدين، وإنكارٍ ضمني من طائفة الكاثوليك لفاعلية هذه الوسائل المقامة لأجل الأموات على يد الأحياء.

أما سائر وسائل طلب الغفران، فالأرثوذكس والكاثوليك متفقون على أهميتها، وفاعليتها، سواء على الفرد أو الجماعة، وفي هذه الحياة، والحياة الأخرى.

ويحصر البابا شنودة الثالث وسائل طلب الغفران المتفق عليها بين الأرثوذكس والكاثوليك فيقول: (يعلمنا الكتاب أن المعمودية لازمة للخلاص قال السيد المسيح «من آمن واعتمد خلص» [1] ولم يقل من أمن فقط، وإنما جعل المعمودية من شروط ووسائل الخلاص....

التوبة مهمة للخلاص، فلا يمكن أن يوجد لاهوتي واحد في العالم، يقول إنه يمكن أن يخلص إنسان بدون توبة، فالتوبة لازمة للخلاص، قال المسيح فيها: «إن لم تتوبوا، فجميعكم كذلك تهلكون» [2]، والتوبة مرتبطة بغفران الخطايا يقول الكتاب المقدس: «ليمنح شعب إسرائيل

(١) العهد الجديد. إنجيل مرقس (١٦: ١٦) (ص٣٨).

(٢) العهد الجديد. إنجيل لوقا (١٣: ٣ – ٥) ص(١٩١).

التوبة وغفران الخطايا» [1].

ربط آباؤنا الرسل مغفرة الخطايا بالتوبة، كما بالمعمودية: «توبوا، وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لمغفرة الخطايا» [2].

والتوبة تحمل ضمن أساسياتها الاعتراف على الأب الكاهن بالخطايا حسب قول الكتاب المقدس: «من يكتم خطاياه لا ينجح، ومن يقر بها، ويتركها يرحم» [3] لينال التائب التحليل من فم الكاهن حسب قول الرب لرجال الكهنوت: «اقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياه تغفر له، ومن امسكتموه عليه أمسكت» [4].

والتوبة والغفران حاصل بالسلوك والأعمال الصالحة: «اصنعوا ثمارًا تليق بالتوبة» [5].

الكنيسة لها دور أساس في الخلاص عن طريق نشر الإيمان، وخدمة الكلمة، فالكنيسة تقدم الخلاص عن طريق خدمة أسرار الكنيسة المقدسة، وفي مقدمة هذه الأسرار سر المعمودية، سر الاعتراف، سر المناولة الأفخارستيا (العشاء الرباني)، سر الكهنوت (القربان المقدس، القداس الإلهي، شفاعة القديسين، صلوات القديسين...) سر المسحة المقدسة (مسحة الميرون)، قال المسيح عن دور رجال الكهنوت: «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم... وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به» [6]، فرجال الكنيسة هم حماة الأسرار، ووكلاء الرب والواسطة بين الشعب والرب...

---

(١) العهد الجديد. أعمال الرسل (٥: ٣١) ص(٣١٤).

(٢) العهد الجديد. أعمال الرسل (٢: ٣٨) ص(٣٠٦).

(٣) العهد القديم. سفر الأمثال (٢٨: ١٣) ص(٩٦٧).

(٤) العهد الجديد. إنجيل يوحنا (٢٠: ٢٢ – ٢٣) ص(٢٩٦).

(٥) العهد الجديد. إنجيل متى (٣: ٨) ص(٦).

(٦) العهد الجديد. إنجيل متى (٢٨: ١٩) ص(٨٥).

نؤمن أن الأعمال الصالحة بدون الإيمان لا تبرر الإنسان، ولا تخلصه، فالأعمال بغير الإيمان بالدم والكفارة لا تبرر أحدًا، وفي الوقت نفسه لا نخلص بدون الأعمال الصالحة، فهي ثمرة الإيمان، وإن كان الإيمان لازمًا للخلاص، فهو لازم بثمرة، أي بهذه الأعمال الصالحة[1].

ثم بيّن البابا شنودة الثالث سبب رفض الأرثوذكس لعقيدة المطهر، كوسيلة للغفران، والموجودة عند الكاثوليك قائلاً: المطهر في اعتقاد الكاثوليك حالة، أو هو مكان، أو حالة ومكان لتطهير الراقدين – الأموات – بواسطة عقوبات زمنية ليخرج الراقدون لحياة السماء، مطهرين من خطاياهم.

ونحن نرفض المطهر من الناحية اللاهوتية، فهو ضد الكفارة والفداء، وضد عقيدة الخلاص، فدم المسيح هو المطهر الوحيد الذي نؤمن به بالمعنى اللاهوتي السليم، وهو ضد سر التوبة، وضد الكهنوت والمغفرة.

وضد العدل الإلهي، والرحمة لله الذي استوفى حقه تمامًا على الصليب، وضد وعود الله، وضد ما تعان به النفوس الراحلة بصلوات الأحياء، وضد كل القداسات المقامة، وكل الصلوات المرفوعة، والصدقات المدفوعة من أجلهم.

ونحن ضد الغفرانات التي عند إخواننا الكاثوليك التي يمنحها الباباوات تحت مسمى صكوك الغفران، زوائد القديسين[2]، لأن الغفران إنما هو لمغفرة خطية، أو خطايا، والمبدأ اللاهوتي الثابت هو أن المغفرة وسيلتها التوبة، والرجوع إلى الله، ونقاوة القلب، وترك الخطيئة... وفي نفس الوقت نحن نؤمن بالقديسين، وببركتهم وشفاعتهم، وصلواتهم ونمجد حياتهم الفاضلة. فهم

---

(١) انظر: بدعة الخلاص في لحظة (٢٤ – ٥٨).

(٢) زوائد القديسين هو رصيد من الغفرانات ينالها القديس على أثر قيمه بتلاوات كثيرة، وزيارات كثيرة لأماكن مقدسة فكان له هذا الرصيد من الغفران الذي بالإمكان أن يمنحه لأي تائب يتوب بين يديه لزمن قصير أو بعيد. انظر: لماذا نرفض المطهر (٨٦ – ٨٨).

شفعاؤنا عند الرب[1].

ويقول سعد رستم عن مواطن الاختلاف بين الأرثوذكس والكاثوليك فيما يتعلق بالغفران: (لا يؤمن الأرثوذكس بالمطهر الذي قالت بها الكنيسة الكاثوليكية، وهو مرحلة بين الجنة والنار، يعذب فيها بعض المستحقين للعذاب لفترة محدودة، ثم يصيرون إلى الجنة.

ويأخذ الأرثوذكس على الكاثوليك أنهم يؤمنون أن الإنسان يمكن أن ينال الغفرانات لعدد من السنين، أو الأيام عن طريق تلاوة صلوات معينة، أو زيارة أماكن مقدسة معينة بأوامر من بابا الكاثوليك، ويأخذون عليهم إيمانهم بزوائد القديسين، أي أن بعض القديسين لهم زوائد من الغفرانات، يمكن منحها، أو توريثها لغيرهم)[2].

وقال عن مواضع الاختلاف الموجودة عند البرتستانت عن الكاثوليك والأرثوذكس في الغفران: (تعتبر البروتستانية أن التبرير (أي وصول الإنسان إلى البر أمام الله، وقبول الله له) والخلاص الأخروي الأبدي، إنما يكون بالإيمان وحده، وليس بالأعمال، ولا دخل للأعمال في الخلاص، بل هو هدية مجانية من الله... دونما حاجة للأسرار، أو وساطة الكنيسة، أو الأعمال الصالحة، كما يرون أن المؤمن لا يهلك مهما سقط، أو فعل... ويرفضون المجامع الكنسية مما جعلهم يرفضون عشرات العقائد والتعليمات، والاجتهادات الكنسية الإضافية التي التزمت بها الكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية عبر العصور، مثل عقيدة وجود المطهر.

ولا يؤمنون بأصوام الكنيسة المأخوذة من تعاليم العهد القديم.

---

(١) انظر: لماذا نرفض المطهر (١٠ – ٨٨).

(٢) الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية، سعد رستم، الأوائل. دمشق. سوريا (ط٢) ٢٠٠٥م ص(٦٦)، وللاستزادة انظر: مصادر الديانة النصرانية (٢/٩٤٣ – ٩٧٤)، الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه (٥٧٣ – ٦٠٥)، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء (٢٥٩ – ٢٦٢)، دراسات في الأديان للخلف (٣٧٤)، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (٤٦٨ – ٤٧٨)، عقيدة الخلاص في الديانة النصرانية (١٣٠)، محاضرات في النصرانية (١٥٦ – ١٥٩).

لا يؤمنون بشفاعة القديسين، ولا بالصلاة على الراقدين.

يرفضون كل الأسرار والطقوس الكنسية عدا سر المعمودية، والعشاء السري الأفخارستيا) ويتفقون فيما بينهم على رفض سر الاعتراف أمام الكاهن لأجل الغفران، ويرفضون سر الدهن بالزيت، والأصوام، ويفسرون العشاء الرباني بأنه طقس لإحياء ذكرى فداء المسيح فحسب[1].

---

(1) انظر: الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم (١٩٥) وللاستزادة انظر: مصادر الديانة النصرانية (٩٤٣/٢ – ٩٧٤)، الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه (٥٧٣ – ٦٠٥)، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء (٢٥٩ – ٢٦٢)، دارسات في الأديان للخلف (٣٧٤)، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (٤٦٨ – ٤٧٨)، عقيدة الخلاص في الديانة النصرانية (١٣٠)، محاضرات في النصرانية (١٥٦ – ١٥٩).

الفصل الخامس

المقارنة بين معتقد المسلمين واليهود والنصارى في الغفران

الفصل الخامس

المقارنة بين معتقد المسلمين واليهود والنصارى في الغفران

الإسلام	النصرانية	اليهودية
		أ- التعريف الغفران
١ – الغفران هو إسقاط العقاب عن العبد المؤمن التائب، ومحو الذنب، وإزالة أثره ووقائية شره	١ – الغفران يراد به أمران: أ- رفع الخطيئة الأولى الموروثة عن آدم عليه السلام. ب – رفع، وستر، ومحو خطايا الأخرى للمؤمنين، ومن النصارى أفرادًا أو شعبًا، وإبعادها عنهم كبعد الشرق عن الغرب.	١ – الغفران هو ستر خطيئة المؤمن فردًا، كان أو شعبًا، وعدم حساب الله لها ومحوها، وستر وجه الله عنها، وعدم تذكرها
		ب- نشأة طلب الغفران
٢ – تقريرًا لمبدأ المسئولية الفردية، وتأكيدًا لمبدأ حرية التصرف لتتحمل نفس كل فرد نتائج عملها، فلا تحمل نفس ذنب نفس أخرى، فكل نفس بما كسبت رهينة، ولا تزر وازرة وزر أخرى.وتفعيلاً لتوحيد الألوهية خالصًا أثناء وعقب كل عمل يقوم به الفرد.	٢ –كثرة الخطايا البشرية الناتج عن فساد طبيعتها المورث عن الخطيئة الأولى لأبيهم آدم عليه السلام.	٢ – نشأ الغفران إيمانًا منهم بوجود الخطيئة الناتج عن ضعف الطبيعة البشرية، والسنن الكونية المعقدة. واسترجاعًا لتميزهم، واصطفاء الله لهم كونهم شعب الله المختار.
		ج- الهدف والغاية من طلب الغفران
٣- تحقيق مقتضى العبودية لله عز وجل المستلزم شكر النعم، والصبر على المحن والمبادرة إلى إصلاح الزلل، وسد الخلل.	٣ – التطهر من نجاسة الخطيئة، والاتحاد الروحي بالمسيح لنيل النبوة الإلهية للرب الآب، والتنعم من ثمَّ بالحياة الأبدية.	٣ – الغاية من طلب الغفران إرضاءً لقداسة الله التي ترفض الخطايا، وسعيًا لتحقيق مكاسب

الإسلام	النصرانية	اليهودية
لنيل رضا الله عز وجل والفوز بالدارين.		مادية في الحياة الدنيا من سيادة، وتمكين في الأرض. ومبررًا للاستمرار في ارتكاب الخطايا، فالمذنب يطلب الغفران ليخلص نفسه فقط من مجرد الضيق الذي ينتابه عن ارتكاب أي خطيئة.
		د- حكم طلب الغفران
٤ – الغفران حق إلهي لله عز وجل وحده، فعلى العبد المذنب التائب التماس الغفران من الله – عز وجل – وحده – من غير واسطة ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا رجل صالح، ولله عز وجل تمام المشيئة والحرية الإلهية إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه.	٤ – الغفران واجب إلهي على الرب أن يمنحه للمذنب التائب متى ما آمن بعقيدة الصلب والفداء والكفارة، وقام بطقوس الغفران، وتقدم بوسائله تحت مظلة، وتأييد قبول أحبار ورهبان الكنيسة.	٤ – الغفران شريعة وعقيدة إلزامية على الرب أن يقبل توبة المذنبين، ويتسامح معهم، ويمنحهم البركات المادية والدنيوية متى ما تقدم المذنبون التائبون بوسائل الغفران، وقاموا بطقوسه تحت مظلة وتأييد الأحبار والرهبان.
		هـ- مصدر الغفران
٥– قيام معتقد وشرائع الغفران وفق ما جاء وورد في مصادر التشريع الإسلامية الكتاب، والسنة الصحيحة.	٥ – تأثير الحضارات الوثنية على المعتقدات والشرائع العامة للديانة النصرانية، وعلى معتقد وشرائع الغفران بصورة خاصة، وانتقال الديانة من ديانة خاصة ببني إسرائيل لتكون ديانة عامة	٥ – تأثير الحضارات الوثنية على معتقدات وشرائع الديانة اليهودية بصورة عامة، وشرائع ومعتقد الغفران بصورة خاصة، وتلاعب الحاخامات بالأحكام والشرائع ومصادر التشريع.

اليهودية	النصرانية	الإسلام
	عالمية، مما جعلها خليطًا من الشرائع والمعتقدات الوثنية على يد النصارى الوثنيين الجدد، وعلى يد الأحبار والرهبان الذين تلاعبوا بمصادر التشريع بالتحريف والتبديل.	
و- دوافع طلب الغفران ٦ – ١- وقوعهم في الخطايا والذنوب والخطايا، والذنوب في نظرهم لا تُعد خطيئة، ولا ذنبًا إلا حين تقع في حق يهودي منهم، أما في حق سواهم فليس من الخطايا في شيء. ٢- وقوع التقصير والإهمال في أداء الشرائع العملية التي تمس المقدسات الإلهية أو قداسة الكهنة، أو قداسة شعب الله المختار. ٣ – امتثالاً للأوامر المقدسة الصادرة من الحاخامات، فمتى ما خالفها لزم عليه طلب الغفران.	٦ – ١-وقوعهم في الخطيئة التي تحرمهم من شرف البنوة الإلهية، وبالتالي تحرمهم من مجد الله، ومن وراثة ملكوت الله. ٢ – سد الخلل الحاصل في حياة الفضيلة، والتقصير الوارد في حياة البر إكمالاً للقداسة الحاصلة بالإيمان. ٣ – ترغيبًا بنيل شرف البنوة الإلهية، وإرث المجد والملكوت الإلهي في حياة السماء، وترهيبًا لمن ترك حياة التوبة والمغفرة بالحرمان، والوقوع في حياة الرجس، والمرض، والمقت من أهل السماء والأرض.	٦ – ١- رغبة في رضا الله ومحبته، وسعيًا للفوز في الدارين الدنيا بالراحة، والطمأنينة والآخرة بالنجاة من العذاب، والفوز بالجنة. ٢ – تحقيقًا لمقتضى توحيد الألوهية القاضي بطلب الغفران عن الذنوب والخطايا من الله عز وجل وحده. ٣ – سعيًا لسد الخلل والتقصير في العبادات التي شرعها على عباده.

اليهودية	النصرانية	الإسلام
ي- وسائل الغفران		
٧- خضعت للتطوير والتغير والزيادة والنقصان من زمن لآخر؛ لأنها مستمدة من مصادر تشريعية محرفة، ومن الأحبار والرهبان الذي جعلوا لأنفسهم من المكانة والقداسة التي تفوق قداسة ومكانة الرب والوسائل القولية والفعلية، جميعها قائمة على الشرك، ومتأثرة بالوثنية، فالقولية تقوم بإعلان الذنب، وفضح المذنب نفسه أمام رجال الدين من الأحبار والرهبان، والفعلية بتقديم مكاسب مادية (القرابين) لرجال الدين من الأحبار والرهبان أو بتعذيب الأجساد بطول الصيام، أو بالجلد أو ممارسة طقوس وثنية كطقس الكاباروت أو التشليخ الغطس.	٧- وسائل متطورة ومتغيرة قابلة للزيادة والنقصان، والإزالة؛ لأنها مستمدة من مصادر تشريعية محرفة، ومن أحبار ورهبان الكنيسة الذين فاقت مكانتهم، وقداسهم التي وضعوها لأنفسهم مكانة وقداسة الرب. فجميع الوسائل لا تتم إلا تحت مظلة وتأييد رجال الدين، وقبولهم، أول وسائلها الاعتقاد الجازم بعقيدة شركية (الصلب والفداء)، ثم تتوالى الوسائل القائمة على الشرك، والمتأثرة بالطقوس الوثنية تحت مسمى (أسرار الكنيسة) التعميد، الاعتراف، زيت الميرون، العشاء الرباني...	٧ – وسائل قلبية، قولية، فعلية، مستمدة مما شرعه الشارع عز وجل في الكتاب والسنة الصحيحة الوارد على لسان نبينا محمد ✖ منذ أربعة عشر قرنًا. وجميع هذه الوسائل تتم بصورة مباشرة بين العبد وربه فيما يتعلق بالحقوق الإلهية، وبسرية تامة، وفيما يتعلق بحقوق العباد، فكما هو وارد شرعًا برد الحقوق إلى أهلها من غير إفراط أو تفريط.
ن- لوازم الغفران		
٨ –لوازم شركية وعنصرية، لا تهدف إلى تهذيب نفس الخاطئ	٨ – لوازم شركية تسعى إلى تعزيز الشرك في نفوس النصارى	٨ – جميع لوازم الغفران في الإسلام لوازم شرعية مصدرها

الإسلام	النصرانية	اليهودية
الشارع – عزل وجل – وحدة تسعى إلى تحقيق التهذيب الإلهي لنفس التائب، ونيل براءة ذمته من الحقوق الإلهية، والحقوق البشرية.	من خلال لازم يلزم بالاعتقاد الجازم بعقيدة الصلب والفداء ولازم يمنح رجال الدين المكانة والقداسة؛ إذ لا غفران بلا اعتراف وتعميد... تحت يد الأحبار والرهبان	التائب بالمقام الأول، فالمقام الأول هو تعزيز العنصرية، والعصبية للديانة والجنس اليهودي، وشركية إذ لا غفران بلا فضيحة تحت مسمى الاعتراف بالذنب بين يدي الأحبار والرهبان.
		–آثار الغفران
٩ – آثار الغفران عاجلة شاملة، وآجلة شاملة. عاجلة في الحياة الدنيا، شاملة لرضا الرحمن، ونيل المتاع الحسن، والسكينة والطمأنينة النفسية ورفع البلاء... وآجلة في الحياة الآخرة، شاملة لرضا الله، والفوز بالجنة والنجاة من النار.	٩ – آثار تنص على التزكية الأبدية للذات البشرية، فبالغفران ينال العبد التبرير والتطهر، والمجد الإلهي، ووراثة ملكوت الله، وآثار شركية تنص على نيل شرف البنوة الإلهية للرب، والاتحاد الروحي بالمسيح والتنعم في الفردوس، فبالغفران سينال التائب مفاتيح السماء.	٩ – آثار الغفران التي يطمح إليها اليهود من وراء توبتهم هي آثار عاجلة جائرة تقوم على تحقيق الأصطفاء، باعتبار أنهم شعب الله المختار، ونيل السيادة على جميع الأجناس البشرية، والتمكين في الأرض، واسترجاع أرض فلسطين، وتحقيق جميع المكاسب المادية الدنيوية فقط.